
جلباب لواحد
لا لاثنين
فجوة بين جيلين
Telegram:@mbooks90
رنا صلاح سالم
و
سيد عمر
مزيج

فكرة بحثية: أحمد القاضي

العنوان: جلباب لواحد لا لاثنين

تأليف: رنا صلاح سالم / سيد عمر

الطبعة: الأولى ٢٠٢٣

تصميم الغلاف: نادين زهير

رسومات: نسرين الشعار

الإخراج الداخلى: علي محمود علي



رقم الإيداع: ١٥٩١٧ / ٢٠٢٣

ISBN : 978-977-86721-2-1

مزيج للنشر والتوزيع ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية





تواصل معنا

 www.Mazeej.com

 info@mazeej.com

 01010006888 - 01559669664

المحتويات

معركتهما الصغيرة

خفتت أصوات الشجار بشكل مفاجئ مثلما تعالت بنفس الشكل، وعاد الحي الهادئ إلى سكونه السابق بعد فترة وجيزة، حيث عكّر هدوئه الصراخ المتبادل بداخل أحد المنازل والذي بدأ كجدال معتاد بين الأب وابنه المراهق.

من الصعب تحديد سبب وقوع الجدال في المقام الأول، لأنه لم يتذكر أيٌ من الطرفين سبب النزاع عندما تحول إلى شجار. وبعد تطور الأمور، لم تتمكن الأم من إيقاف هذا الشجار. «ربما كان السبب في الجدال تأخر الابن في الخارج وعدم رده على مكالمات والده الكثيرة المتواصلة، أو ربما كان سبب التوتر بسبب تراجع مستواه الدراسي، أو ربما السببان معاً بالإضافة إلى أسباب أخرى. وبغض النظر عن السبب الحقيقي، فقد وصل الجدال بين الأب وابنه إلى نقطة لم يعد فيها السبب مهماً، حيث تحول إلى شجار حول كل شيء، وكأنهما كانا ينتظران شرارة بسيطة لفتح «صندوق باندورا(1)» دون أن يعرف أحد كيف يمكن إغلاقه مجدداً.



وهذا ما حدث إلى أن بدأ الأب يشعر بأعراض انخفاض ضغط الدم، لكنه لم يرغب في إظهار ذلك أمام ابنه. ظل الأب يسأل نفسه لماذا لم يرغب في أن يراه ابنه وهو غير قادر على مواصلة الشجار؟ هل كان يخشى أن يعتبر الابن نفسه حينها منتصراً؟

أم أنه لم يرغب في أن يرى الابن ضعف أبيه ويتأثر به ويتراجع في موقفه، ليس بسبب اعترافه بخطئه، ولكن بسبب شفقته عليه؟ أم أنه خاف أن يرى ابنه يستغل ضعفه ويستمر الشجار بينهما؟ لا يعرف الأب الحقيقة وخاف أن يعرفها؛ لذا اكتفى باستغلال آخر قدر من طاقته وأمر ابنه بالذهاب إلى غرفته. وهو يدعو الله من داخله أن يطيعه ولا يعارضه لأنه شعر حينها بأنه على وشك الإغماء. لكن الابن أطاعه ورغم ذلك نظر له نظرة تحدي واضحة لو كان الأب في حال أحسن لم يكن ليسمح بمرورها دون شجار أكثر حدة من سابقه.

«كيف وصلنا إلى هذا الحال؟». سؤال طرحه الأب على نفسه بعد أن اختلى بنفسه في غرفته وهدأ وعاد ضغطه إلى معدله الطبيعي. على الرغم من أنه تعمد عدم إظهار تعبه أمام ابنه، إلا أنه لم يتمكن من منع نفسه من تخيل مجيء ابنه فقط لكي يطمئن على صحة أبيه. عيناه مثبتتان على باب الغرفة. ينتظر أن يسمع طرقات ابنه عليه ولكنه لن يسمح له بالدخول في الحال، سينتظر عدة ثواني ثم يخبره أن يدخل. ينتظر.. وينتظر.. ولكن لم يحدث أي شيء وظل الباب كما هو. أبعد عينيه عن الباب في أسى وعاد لتساؤله الأول، ما الذي حدث؟ وكيف أصبحا بعيدين عن بعضهما البعض بهذا الشكل؟ عاد الأب بذاكرته لسنوات ماضية، إلى أوقات أكثر بساطة وهدوء.

تذكر حين كانا لا يفترقان، كان حين يراه ابنه يرتدي ملابسه ويتهيأ للخروج، يتشبث به ولا يسمح له بالخروج بدونه، وكان الأب يطيعه، كان يحب صحبته ودائماً ما كان يقول إنه صديقه المقرب. متى أصبح صديقه المقرب غريباً عنه هكذا؟ لماذا لا يظل الأطفال أطفالاً؟ لماذا عليهم أن يكبروا ويصبح لهم كيان ويرغبون في الاستقلال بهذه القسوة؟ أسئلة كثيرة تتردد في رأسه وهو يتذكر شذرات من حياتهما في السابق، حين كانت حياة الابن تتمحور حول حاجته لأبيه ولا يمكنه أخذ خطوة واحدة دون أن يكون متشبثاً في ذيل جلبابه.

تساءل الأب حينها عما يدور في ذهن الابن في نفس اللحظة. هل مازال مستيقظاً ويشعر بالقلق والاضطراب كما يشعر الآن؟ أم أنه لم يعد يهتم ويقضي وقته على

الإنترنت دون تفكير في الدراسة؟ أو ربما تجاوز هذا المرحلة ونام؟ أراد أن يذهب كي يطمئن عليه، ولكنه يدرك أن ذلك سيعني التنازل والاعتراف بالهزيمة في المعركة الصغيرة التي تدور بينهما. فكّر قليلا في الكلمة التي ترددت لتوها في ذهنه «معركتهما». عاد حينها إلى افتقاد الأوقات الأبسط من حياتهما ورغب بشدة في استرجاعها.

في الوقت الذي كانت كل تلك الأفكار تعصف بذهن الأب، كان ابنه يرقد على سريره في غرفته ممسكا بهاتفه المحمول يحكي لصديقه المقرب عن شجاره مع أبيه، فأخبره صديقه بدوره عن مشكلته الأخيرة مع أبيه وهو ما قادهما إلى سرد حكايات عن خلافاتهما مع أبويهما التي لا تنتهي، ولا يتوقفان عن ترديد أن «آباءهم لا يفهموهم». انتهت المحادثة الغاضبة، وظل الابن في سريره لا يستطيع النوم. كانت هذه هي الفترة المخصصة لأحلام يقظته، حيث يخلو بنفسه ويتخيل أشياء يعرف أنها لن تحدث قريباً، وبعضها الأخر لن يحدث أبداً.

كان كل ما يشغله في تلك الليلة هو ما حدث بينه وبين أبيه. ولماذا يصر على التدخل في أموره؟ لماذا يحاول دوماً التعديل عليه، واستغلال أية فرصة لانتقاد كل كبيرة وصغيرة في حياته. متى ينتهي هذا الأمر؟ والأهم، هل سينتهي يوماً ما؟ هل سيتوقف الآباء يوما عن انتقاد أبنائهم؟ تساءل الابن وأراد أن يجيبه أحد. أراد أن يطرح عدة أسئلة على أبيه: متى ستتوقف عن توبيخي؟ ومتى ستتركني أتصرف بما يناسبني؟ ومتى ستقتنع بأنني لم أعد طفلاً صغيراً؟ وهو ما قاده إلى تخيل تلك الليلة، حيث رأى الابن نفسه بعد عدة السنوات رجلاً ناضجاً لديه عمله الخاص وبيته وأسرته وربما أبنائه أيضاً.

كما رأى نفسه يتعامل مع أبنائه بطريقة مختلفة عما كان أبوه يعامله، وكان سيتعمد أن يختلق مواقف شبيهة بالتي كانت تحدث بينه وبين أبيه كي يُري أبيه طريقته المختلفة و«الصحيحة» للتعامل مع مثل هذه المشكلات.

في الوقت الذي ينعزل فيه الأب في غرفته، يتحسر على الماضي ويشعر بالحزن والأسف، ظل الابن في يتمنى أن تمر الأيام والسنوات بسرعة حتى يصل إلى السن

التي يحلم بها للحصول على الاستقلالية عن والده. ومع ذلك، يغفل الاثنان عن نقطة مهمة وهي «الحاضر». فتلك اللحظة إذا مرت فلن تعود مرة أخرى.

ولكن، إذا قرر كل منهما التغاضي عن غضبه والتركيز على الحاضر، فمن الممكن أن يستفيدا من هذا الوقت المعقد. فإذا تجاهل الأب الماضي، وتقبل الابن أن المستقبل لن يأتي قريباً، وجلسا معاً لمناقشة المشكلة الحقيقية، فمَن يعرف ماذا يمكن أن يحدث بعد ذلك؟

توطئة

أخبرونا مراراً أن الإنسان كائن اجتماعي، فمنذ بداية الخليقة وجد الإنسان نفسه وسط جماعة مكونة من أفراد قبيلته، وأدرك حينها أنه لا يمكنه الاستغناء عنهم. إذن فإن إدراكه بأهمية موضوع العلاقات قديم قدم الإنسان نفسه.

والعلاقات الإنسانية متشابكة ومعقدة ومتشعبة بدرجة كبيرة؛ لذا سنركز موضوعنا حول أحد أكثر العلاقات الإنسانية أهمية وتعقيداً في الوقت ذاته، وهي علاقة الآباء والأبناء والتي تحمل في طياتها الكثير من الجدليات والتحديات، وتتأثر بالعديد من العوامل المختلفة. لهذا، سنعرض هذه العلاقة بناءً على محورين أساسيين:

المحور الأول مرتبط بشكل مباشر بنظرة الأب لابنه، حيث يراه بمثابة امتداد لنفسه على الأرض.وبالتالي يرى فيه أحلامه وطموحاته المستقبلية، ويسعى جاهداً لضمان استمرارية وجوده الأسمى في حياته، وذكراه بعد مماته.

ينظر الابن إلى أبيه كطوق الأمان الذي يحميه من مخاطر الحياة، ويوفر له الملاذ المادي والمعنوي. ومع ذلك، يتطلع الابن في الوقت ذاته إلى تكوين شخصيته المستقلة عن أبيه، ويسعى لاستكشاف الحياة بنفسه وتجربة كل جديد، ولا يريد الاعتماد على تجارب أبيه في هذا الصدد. كما يرغب الابن في الاستفادة من تجاربه الخاصة وفهم الحياة بطريقته، وربما يرفض بعض التحذيرات التي يقدمها له والده. فعلى الرغم من احتمالية أن تكون تحذيرات أبيه تحمل جانباً كبيراً من الصواب والحكمة، إلا أن هذا الابن يرى أنه يمتلك ملكات عقلية وحواس جسدية يريد أن يكوّن بها معرفته ويجمع بها ثقافته دون وصاية من أحد وخاصة أبيه، ليجد الابن نفسه مشتتاً ما بين طوق الأمان المتمثل في أبيه، وبين حاجته للاستقلال عنه، وعن وصايته المعرفية والثقافية.

أما المحور الثاني الأكثر التصاقاً بمناقشتنا هذه، فيثير التساؤل عما إذا كانت الفجوة بين الآباء وأبنائهم أمراً بديهياً نظراً لفارق العمر والخبرات الحياتية بينهما.

ومع تقدم وسائل الاتصال الحديثة، يتغير هذا الموضوع بشكل كبير، ويطول ويزداد تعقيداً تبعاً لتعقيداتنا الإنسانية وتشعبها. لذلك، سنقوم في هذا المقال بالتركيز على الفجوة الأزلية بين الآباء وأبنائهم كبنية فكرية تخللت شتى وجوه الحياة الاجتماعية، وغيرت معطياتها المعروفة ونتائجها المتوقعة تاريخياً. ومع ذلك، فإن التغييرات التي حدثت في العصر الحالي أصبحت أعمق وأطول وأكثر تعقيداً من ذي قبل، مما يجعل من المهم استكشافها بعمق وفهمها بشكل أكبر. لذلك، فإن هذا الموضوع يحتاج إلى مناقشة مفصلة عبر الفصول.

ماهية الاختلاف الثقافي بين الجيلين

1- مدخل الموضوع

نعرف جميعاً مصطلح «الفجوة بين الأجيال»، والذي أصبح شائعاً في حياتنا اليومية، إذ أصبح الاختلاف بين الأجيال شيئاً لا يمكن تجاهله. ربما يتساءل القارئ الآن لماذا نفتعل موضوعاً آخراً من قلب هذا المصطلح. بداية دعنا نتفق عزيزنا القارئ حول أن هذا الاختلاف بين الأجيال أمر حتمي الحدوث، وأنه سيظل حتى قيام الساعة. ومع ذلك، فإن الفجوة بين الآباء وأبنائهم أصبحت أعمق وأكثر تعقيداً في عصرنا الحالي، بسبب ظهور الاختراع الثوري المسمى «الموبايل»، والذي أصبح جزءاً لا يتجزأ من حياتنا اليومية.

وقد عمق هذا الاختراع ما كان طبيعياً وجعل الفجوة التي كانت واحدة تتسع وتتفرع إلى عدةِ فجوات، وستتطرق هذه الفجوات إلى عدة جوانب من الحياة الاجتماعية والثقافية والنفسية التي تتأثر بها علاقات الآباء والأبناء. لذلك، فإن النظر إلى هذا الموضوع بشكل أكبر يمكن أن يساعدنا على فهم تأثير الهواتف المحمولة على العلاقات بين الأجيال وكيفية الحد من الفجوة الناشئة بينهما.

إن ذلك الجهاز اللوحي صغير الحجم بتطبيقاته المتنوعة اللامتناهية يحتاج منا إلى الوقوف مع أنفسنا كمتخصصي علوم إنسانية ونقطع كل الأوراق التي كُتبت من قبل حول التقدم التكنولوجي، وأن نكتب بعد ذلك أوراقاً وأبحاثاً جديدة يكون مصدرها ومنشأها ما تقوم به أنظمة الذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا الحديثة بكافة أشكالها. فعندما ظهر اختراع «الموبايل» في البداية، كان استخدامه مقتصراً على رجال الأعمال وما شابه ذلك، أي «الكبار».

ولكن مع تطور التكنولوجيا وتنوع التطبيقات التي جعلت من «الموبايل» ليس مجرد أداة لإجراء المكالمات العاجلة، وبدأت الألعاب والتطبيقات الترفيهية والعملية الأخرى في الدخول عليه، أصبح الجهاز متاحاً للصغار الذين يتمتعون بالوعي الجماعي الذي يسمح لهم بسهولة استيعاب كل هذا، ويشعر الكبار بحاجتهم لتعليمهم

كيفية استخدام هذا الجهاز المتطور، وكلما زاد تطوره، زادت غرابته في عيونهم، وبطبيعة الحال، يحتاجون إلى مساعدة أطفالهم.



إذا سألتنا عزيزي القارئ عما نسعى إلى تسليط الضوء عليه، فإننا نركز على الفجوة الثقافية التي تلازم واقعنا الاجتماعي العربي في مختلف جوانبه. فعندما استخدم عالم الاجتماع الشهير «كارل مانهايم» مصطلح «الفجوة بين الأجيال»، كان يشير إلى الفجوة الثقافية بين الأجيال في العالم الغربي.

ومع ذلك، تبدو هذه الفجوة ذات أهمية كبيرة في عالمنا العربي، خاصة في ظل تنامي الثقافات الرقمية والتكنولوجيا الحديثة. وقد بدأ الجيل الجديد الذي يعرف بـ «طفرة المواليد»، بالمعارضة لآراء آبائهم السابقة في الأديان والمعتقدات والطقوس والأعراف والفن والموسيقى، وهو ما جعل المفهوم يركز على الطبيعة الثقافية في العالم العربي، حيث تأثرت جميع جوانب الحياة الاجتماعية والفكرية والدينية، إلخ... بتلك الفجوة. لذلك، يتعين علينا تفحص هذه الفجوة الثقافية وتحليلها بعمق، والعمل على تخفيفها وتقليل تأثيرها على العلاقات بين الأجيال في المجتمع العربي.

ما نطرحه عليك الآن، عزيزي القارئ، هو مفهوم يتعلق بواقعنا العربي المعاصر، حيث تتركز الفجوة بين الآباء والأبناء حول صور الحياة الثقافية بمفهومها العام

والواسع. وتشمل هذه الفجوة طبيعة اللغة وأشكال تكوينها وتداولها بين الطرفين، وتتجلى أيضاً في طبيعة الفن والموسيقى التي يستمع إليها كلٌ من الجانبين، وخاصةً الأغاني التي تمثل جيلي الآباء والأبناء. كما يتضح الأمر عند فتح حوار بين الطرفين، فالتعبير والشرح في الحديث قد يختلف بينهما.

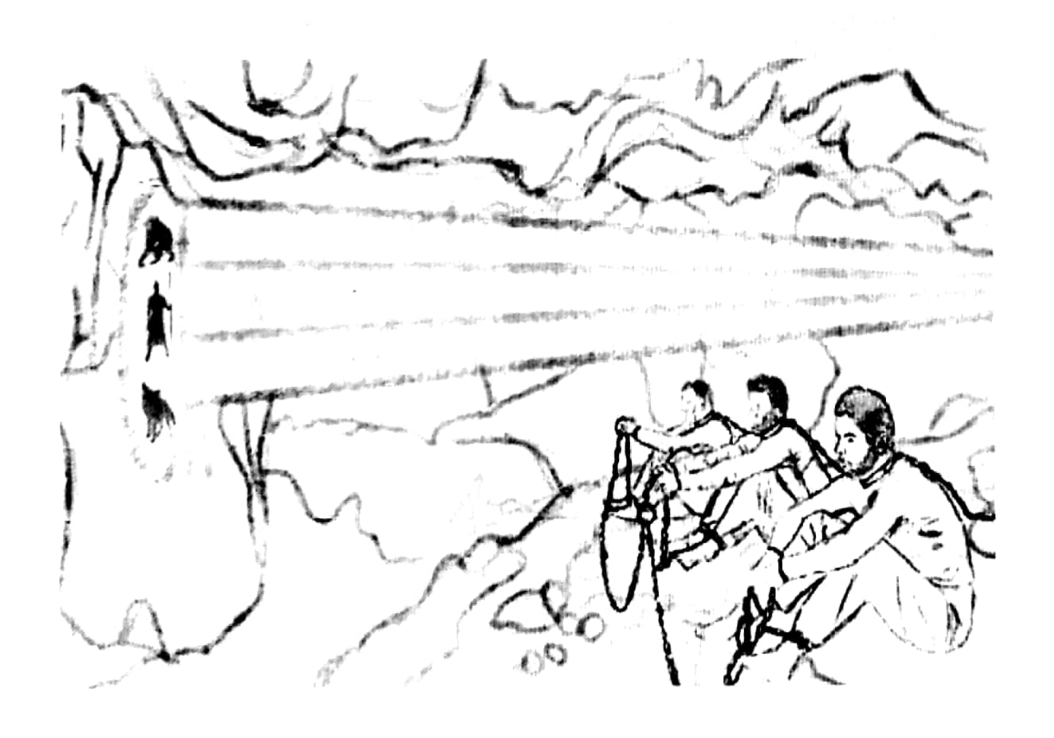
هذه «الفجوة» إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الجيل الجديد يشعر بالحاجة إلى قدر متزايد من الاستقلال عن الجيل القديم، ولا يقبل أن يعترف بنفسه كمجرد «ضحية» لأخطاء الجيل السابق، أي أنه لا يقبل الاعتراف بالحتمية التي بناءً عليها يتحكم القديم في الجديد. كما يؤكد أن لديه قدرة - تتزايد جيلاً بعد جيل - على أن يشكل حياته بنفسه، على الرغم من أن الكبار هم الذين يتخذون القرارات الحاسمة المتعلقة به، وهم الذين يملكون سلطة تنفيذها(1). (65:2017 فؤاد زكريا).

إذا دققنا أكثر في طبيعة تلك الفجوة الثقافية وتعمقنا في أغوارها سنجد أن هناك فصل ثقافي في النظرة والذاكرة. فعلى سبيل المثال، يمكن أن يكون شخص مهتماً بالصورة وطرق التقاطها ونشرها كوسيلة للتعبير عن الذات والهوية، بينما يهتم شخص آخر بالموضوع وتفاصيله وحيثيات الرد وتنميق الكلام. وزاد هذا الانفصال وعمقه تطبيقات (السوشيال ميديا)، فبينما يسمح (تويتر) بمساحة من التعبير لا تزيد عن 140 حرف، حيث يمكننا الخلاصة والانتهاء من الأمر، يسمح (فيسبوك) بالمنشورات الطويلة التي نشرح فيها الموضوع ونرد على بعضنا في التعليقات كما نشاء.

ربما سبق وأن تساءلنا عما يتوقعه الابن من الأب وما الذي يتمناه الأب من الابن، وهل هناك حل فعال ومرضٍ لجميع الأطراف أم أن المسألة فردية وذاتية يحكمها سياق شخصي وظروف عائلية لكل شخص على حدة؟ ولكي نخرج من هذا الإشكال سنطرح عليك أيها القارئ العزيز ثلاث قراءات نظرية مشهورة ومعروفة، وظفناها في سياق الموضوع في الفصل الأخير، وبهذا سننتظر منك أن تراسلنا عن أيها وجدته أنسب لك، أم أن الثلاث قراءات ليسوا من أجلك.

لدى أفلاطون نظرية شهيرة تدعى «نظرية الكهف». تحمل مجازاً واقعياً لحياتنا وتعبر عن كيفية تأثير الواقع على رؤيتنا للأمور ووصولنا إلى الحقيقة. وفي كتابه «الجمهورية»، وصف أفلاطون على لسان سقراط الكهف، حيث يتصوّر عدداً من السجناء الذين يعيشون داخل كهف مظلم ويتم ربطهم بالأغلال، حتى لا يستطيعوا الحركة أو النظر إلا إلى الأمام، حيث يرى كل منهم صوراً معكوسة على الجدار الذي يقفون أمامه. وخلف السجناء يوجد نار تضيء الكهف وتنعكس على الجدار وعلى الجدار من الجهة الأخرى يقف بعض الأشخاص يحملون أدوات الحرف ويصنعون أشكالاً مختلفة تعكس على الجدار ويشاهدها السجناء. وأحد السجناء يتمكن في يومٍ ما من الخروج من الكهف ويشاهد العالم الحقيقي خارج الكهف، ثم يعود ليحكي لزملائه عما رأى، ولكنهم لا يستطيعون فهمه أو الاعتراف به كونهم لم يروا العالم الخارجي من قبل، ولم يكونوا على علم بأن هناك شيئاً آخر غير الصور المعكوسة التي يراها على الجدار.

وتعبر هذه النظرية عن كيفية تحديد الحقيقة وتأثير الظروف على رؤيتنا للعالم، وكيف أن الحقيقة الحقيقية لا يمكن الوصول إليها دون التفكير العميق والبحث المستمر عن الحقيقة وراء الأشكال المعكوسة التي نراها في الحياة..



(فالكهف في هذه الأسطورة هو العالم المحسوس والظلال هي المعرفة الحسية،

والأشياء الحقيقية التي تحدث هذه الظلال هي المثل) (1).

(جميل صليبا1982:246).

يمكن اعتبار الواقع شبيهاً بكهف أفلاطون في حالات كثيرة، حيث يمكن للإنسان أن يكون حبيس أفكاره ومعتقداته التي اكتسبها منذ الصغر والتي قد تمنعه من رؤية الأمور بوضوح وتحد من قدرته على التفكير النقدي والاستنارة. وقد يكون هذا الحصار الذهني مرتبطاً بالتقاليد والعادات التي يتبعها الإنسان والتي قد تعمل على تحديد نطاق تفكيره وتقييد رؤيته للعالم. ومن هنا يتضح أن الاستنارة والتحرر من هذه القيود الذهنية تعد أموراً حيوية لكل إنسان يسعى إلى تحقيق معرفة وفهم أكبر للعالم المحيط به. ويمكن تحقيق ذلك من خلال الاستمرار في التعلم والبحث والتفكير النقدي، والتحديد المستمر للمعتقدات والتقاليد التي قد تعيق رؤيتنا للحقيقة.

2- عن أي ماهية نتحدث:

أصبح مصطلح «التربية الحديثة» مصطلحاً دارجاً في الآونة الأخيرة، وكيف أن أثرها أفضل بكثير من التربية القديمة، وأن آلياتها تدور حول الإنسان ذاته وتربيته هو لنفسه وما شابه ذلك. لكن علينا أن نسأل أنفسنا أولا، ما معنى كلمة «تربية» من الأساس حتى تكون إيجابية أو غير ذلك؟ هل تتمحور التربية حول طريقة تعاملنا مع الأشياء المحيطة بنا والمشتركة بيننا بصورة شبيهة؟ أم أنها مجرد الاعتياد على تقليد الكبار فيما يفعلون تجاه كل شيء؟ وهو ما يقودنا للسؤال التالي: من أين يعرف الكبار والآباء معايير التربية التي يتبعونها جميها دون اختلاف كبير؟

ثرى هل تعلموها بدورهم أم أنهم استنتجوها من شيء آخر؟قد يفيدنا رأي عالم الاجتماع «بيير بورديو» في التساؤل حول مصادر معرفة الكبار لمعايير التربية، حيث يرى أن تلك العملية تتم داخل المجتمع كله بين جميع الأفراد في شكل تفاعلات من الأخذ والرد التي نجريها يومياً مع بعضنا البعض، ولا شك أن هذه التفاعلات متبادلة ومستمرة.

وبالتالي فإن ارتباطنا معاً كأفراد للمجتمع بروابط الثقافة القوية كالدين، واللغة التي نتحدث بها معا، وموروثاتنا عما يجب أن نفعله وما يجب أن نتحاشاه. فكل هذه الروابط الثقافية الكبرى هي الأفكار الأساسية والمركزية التي تنطلق منها عملية التربية، وتحدد تلك الأفكار معايير التربية وشروطها وكيف نعمل عليها سواء كانت إيجابية أو عكس ذلك، فعندما تتعامل مع الآخر، تحدد على أساس كلامه وطبيعة انفعاله كيفية تعاملك معه، وما الذي يرضيه وما الذي يغضبه، وبتكرار تلك العملية مع أشخاص آخرين فإنك تتفهم ما الذي اجتمع الناس على رفضه، وما الذي اتفقوا على قبوله، دون أن يكون هؤلاء الأشخاص قد تقابلوا من قبل، ولكنهم اتفقوا حول قواعد أساسية في التعامل والتي يتفق عليها أغلب الأفراد.

عند قياس تلك الأشياء على نواحي الحياة المختلفة نفهم ما هي معايير التربية وشروطها التي يسير الكبار وفقها دون وعي كامل منهم بذلك، ولكن بشكل يمكن أن نسميه (اعتباط ثقافي)، حيث إنه متفق عليه ونحن نسير بناء عليه وبدراية منا دون أن نعلم جميعنا جذوره وصور تكونه وطرق تعديله، إلخ.إذا ضربت أخاك في البيت وأن صغير وضربت صاحبك في المدرسة في نفس السن، فهل اتفق العقاب الذي تلقيته في البيت وفي المدرسة أم اختلفا؟ وإذا اختلفا فما الفارق بين العقابين؟

بناء على ذلك، فإن الأسرة والمدرسة وغيرهما من مؤسسات التربية المختلفة تعمل معاً نحو تعزيز الترابط والاتفاق على وجهات النظر المشتركة وتقليل الخلافات بين الأفراد. ويتم ذلك عن طريق تقليل حدة الفروق الفردية، حيث يجب علينا أن نكون متفقين لنكون مترابطين. وإذا كان هناك فرق بيننا سواء كان ذلك بسبب مهارة ما أو عقلية أضعف، فقد يشعر الشخص بالغربة عن بقية المجتمع. يأتي هنا دور المدرسة في تقليل حدة تلك الفروق حتى يتحقق تماسك قوي بين الطلاب ولا يشعر أحدهم بالرفض من قبل زملائه أو شعوره بحاجته للانعزال عنهم. بهذا تساعد المدرسة مستقبلا على تكافؤ الفرص بين الأبناء عن طريق طرح الاختلاف عنهم وتعليمهم العلم الذي ينتفعون به وبهذا يدرك الفرد ما عليه أن يفعله وما عليه أن يتجنبه كما يفهم جيدا سُبل الجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها وهو ما يمكن تسميته بـ «الهوية الاجتماعية».

كما قلنا في السابق، فـ«الفروق الفردية» في المدرسة ونحن صغار تشبهها بشكل أو بآخر «الميول الاستقلالية» عن الأسرة ونحن كبار. الابن الذي كبر وأراد تكوين شخصيته، وأراد أن يبرز حاجاته ويعبر عما يحب وما يكره، ومعنى وجوده بالحياة. فأول ما يصطدم، يصطدم برب الأسرة الذي يحاول أن يحيط أسرته أماناً من كافة المخاطر الخارجية كالحاجة والفقر والفشل والإدمان وغيرهم. حينها يجد الاثنان «الأب والابن» نفسيهما يصطدمان ببعضهما في جدل متمثلاً في خوف الأب من ذلك الاستقلال الذي قد يضيع البيت والابن، كما يتمثل أيضا في رغبة الإبن أن يكون كما يجب، وليس ما يفرضه عليه حَكَم من العادات أو التقاليد أو حتى الفن، وأن يختار بنفسه أسلوب ثقافته التي يعيشها بلغته العامية والشعبية وألفاظه الجديدة وذوقه الشخصي في الموسيقى المختلفة، بالإضافة إلى مظهره الخارجي وصورته التي يتخيلها عن نفسه كما يريد تنفيذها بقصّة الشعر وما شابه.

تتسبب تلك التغيرات الكبيرة على الابن بشعور الأب بالفاجعة، ويترتب على هذا نظرته إلى أن كل ميل إلى الفردية أو الذاتية هو تهديد لتماسك الأسرة وخروج عن سطوتها، وفي ذلك انتقاص للشخصية وصد لأصالتها كما يتصور الابن المراهق والشاب.

إن التنشئة الاجتماعية ليست شكلاً واحداً مطرداً كما يتصوره كثير من الناس، بل لها من الأنماط ما يجعلها تعمل على التقارب، وأنماط أخرى ترسخ للتباين بين ثقافة الأب وثقافة الابن؛ فإن الوالدين يؤهلان أبناءهما بما يتفق وينسجم مع القيم التي وجداها مهمة أو مفيدة في توجيه سلوكهم الخاص حسب الطبقة التي ينتمون لها وحسب البيئة الاجتماعية والجغرافية التي تواجدت فيها الأسرة. تختلف أنماط التربية من بيئة إلى أخرى، فنحن نتعلم سلوكيات الاستهلاك والعيش من خلال بيئتنا المنزلية والعائلية، وفي معظم الأحيان نحافظ على هذه السلوكيات حتى بعد الكبر. بالإضافة إلى ذلك، فإن الطاعة والحنان والرعاية تُعَدُّ سلوكيات متلازمة مع البيئات الهادئة والساحلية، بينما تختلف الأنماط التربوية في البيئات المزدحمة والمشوشة بالضوضاء. ويمكن للآباء أن يتبنوا أنماط تربية مختلفة ومتعددة، لكن في بعض

الأحيان لا يكونون مدركين لدوافع سلوكهم التربوي، والتي قد تختلف من حالة إلى أخرى.

وبالتالي، يمكننا القول إن التباين بين ثقافة الأب وثقافة الابن يتوقف على الظروف المؤهلة التي يوفرها كل منهما للآخر ويتبادل معها المؤهلات الاجتماعية التي يحصلون عليها.

إذا ما استرسلنا في الحديث قليلا حول طبيعة تكوين الأسرة للابن، سنجد أنماطاً من التربية تعمل على منع إمكان تحقيق الذات؛ حيث يتمحور إنتاج الشخصية بالأسرة الأبوية على ضياع الفرد في وسط يهيمن عليه الأب والمجتمع القائم، وتكاتف هذين الطرفين في وجه إمكانية تحقيق الذات. فالكثير من وسائلنا التربوية التقليدية لا تعد الفرد لأن يبني قدرته على المواجهة والمناقشة بقدر ما تنمي بداخله الالتواء والازدواجية والاعتماد على الكبير. إضافة إلى تعميق النظرة السلبية للذات حيث يتربى الشاب في صغره بأن يكون مطيعاً ومتفوقاً على أقرانه بالإجبار، وهو ما يحدث عن طريق المقارنة الدائمة بينه وبين الغير من الأقارب والجيران، مما يعمق بداخله الإحساس بالتقصير والأسوأ من ذلك الفشل الدائم، وهذا يؤدي إلى قتل (الطاقات) والإمكانات ويدفع إلى السلبية وسوء تقييم الذات بل معاقبتها أحياناً. يتسبب كل هذا في انفصال الفرد عقلياً وشعورياً عن الأسرة والمنزل مما يعمق حجم الفجوة الثقافية بوسط لا يستطيع تفهمه بوجهة نظره.

كما ينبثق عن كل ذلك التنشئة الاجتماعية السلطوية: «فإن عملية التنشئة الاجتماعية بالأسر الأبوية تعتمد على فرض الرأي وانعدام النقاش والمحاورة مما يؤثر على الوعي الفردي للأفراد، وتؤثر أيضاً على طريقة فهم الأفراد لأنفسهم والآخرين، مما يعمق السلطوية في الأسر التي سينشئونها ويتزايد تعقيد المعضلة».

(1). (زيعور، 1999، 10: ع 3)

في النموذج التالي يخبرنا الفيلسوف (آلان دوبوتون) أن الموضع الذي نشغله من الزاوية العاطفية يؤثر بشكل مباشر على صورتنا الذاتية نحو أنفسنا، فالموضع الذي نشغله أمام أنفسنا يحدد كم نتلقى من الحب، والذي يحدد بدوره ما إذا كان بمقدورنا

أن نحب أنفسنا أن علينا أن نفقد الثقة فيها. يكمن في هذا الموضع مفتاح اقتناء السلعة ذات الأهمية الفريدة بالنسبة لنا: أي المحبة التي من دونها لن نكون قادرين على الثقة في شخصياتنا أو التمسك بها.

نتائج التجاهل:

موقف الآخرين	الصورة الذاتية
أنت فاشل	أنا سُبة
أنت غير مهم	أنا نكرة
أنت بليد	أنا غبي

نتائج الحب:

موقف الآخرين	الصورة الذاتية
أنت ناجح	أنا كفء
أنت مهم	أنا مميز
أنت نبيه	أنا ذكي

«(آلان دوبوتون)، ترجمة: (محمد عبد النبي 2018:17»)

يتضح من ذلك آثار التنشئة الاجتماعية الموجهة من الآباء للأبناء على تكوين هوياتهم، حيث إن الأنا بحسب تشبيه (آلان دوبوتون) مثل بالون الهيليوم الذي يحتاج أن يُدعم كل فترة حتى لا يفرغ. فإذا تفهم الأب تصورات الابن الذاتية، وتفهم الابن تصورات الأب الذهنية، واختفت صور التنشئة الاجتماعية السلطوية سابقة الذكر نكون قد اقتربنا خطوة واحدة نحو محاولة تضييق الفجوة الثقافية بينهما.

اللغة وعلاقتها بالفجوة الثقافية

أولاً: اللغة والتفكير ورؤية العالم:

حين يرى الإنسان شيئاً ما أمام عينيه يجذب انتباهه، فهو في البداية «يفكر» في الأمر بداخل رأسه، حيث يقيم الموقف ويحلله، ثم يقرر ما إن كان لديه ما يقوله عنه أم لا، ثم يقوم بنطق الكلمات التي يرغب في إيصالها تبعا لهذا الموقف. هكذا تتم عملية تفكير الإنسان وبلورة أفكاره، فهو شيء يحدث بشكل كامل وبعد ذلك يأتي دور «اللغة» كمجرد أداة تنقل هذا الفكر من داخل الإنسان إلى خارجه، فاللغة تعد انعكاساً لأمر سابق ومستقل وهو التفكير؛ لذا ننظر إلى الفكر بأنه خاصية إنسانية تماماً لا اختلاف بين البشر فيها ولا نسبية. كما أن اللغة نفسها ليست نسبية، بل مجرد ناقل لهذا المحتوى الذهني المتماثل لدى جميع البشر، وبهذه الصورة، فإن التفكير وما ينتج عنه من معانٍ ومعتقدات وتصورات عن النفس والآخر والعالم يُعد أمراً مستقلاً عن اللغة والكلمات.

يتوارد في العقول البشرية تصور بأن (الكلمة) التي ننطقها مجرد رموز تعريفية للأشياء والمفاهيم، على سبيل المثال، الحب هي كلمة يتفق الناس على استخدامها للدلالة على شعور معين، ولكنه ليس لها معنى موحد بالنسبة للجميع. في الواقع، يمكن لشخص واحد أن يعبر عن الحب بطريقة مختلفة تماماً عن شخص آخر، فقد يتفهم البعض الحب على أنه عطاء دون مقابل، بينما يفهمه آخرون على أنه تملك ورغبة في الاستيلاء على الآخرين.

ومن هنا، يتشوش على الكثيرون مفهوم الكلمة باعتبارها وسيطاً ناقلاً فقط، وهذا التصور البسيط جداً ينبغي تجاوزه، فنحن نسمي الأشياء من حولنا من خلال مشاهد حياتية متحركة، ومن خلال تفاعلنا معها.

والإنسان يستخدم (الجملة)، لا (الكلمة)، لأن الكلمة لها معانٍ ودلالات متعددة، وتستخدم ضمن سياقات مختلفة، حيث إن هناك الكثير من الكلمات التي قد يكون لها عدة معاني، وما يحدد المعنى المطلوب إيصاله هو السياق (الجملة) التي نضعها

فيها. فالأطفال مثلا وإن كانوا لا يسمون الأشياء بل لا يسهل عليهم نطق الكلمة الواحدة، إلا أنهم ملاحظون أقوياء للأشياء التي تحيط بهم بشكل يبني تصوراتهم الذاتية عن معاني تلك الأشياء ودلالاتها، فمثلاً قد لا يستطيع الطفل نطق كلمة (كلب)، ولكنه من خلال سماعه لهذه الكلمة مراراً في مواقف مختلفة قد يحاول أن وضعها في سياقات أخرى، فمثلاً حين يغضب سيكون معناها بالنسبة له الذم والإساءة، حتى إن كان لا يمكنه نطقها نطقاً سليماً سينطقها: (كب).

بفضل دراسة اللغة والكلام والسلوك الإنساني والعلاقات الإنسانية، توصل الإنسان إلى أنّ الكلام الذي نستخدمه في حياتنا اليومية ليس مجرد خاصية إنسانية مستقلة بذاتها، وإنما يرتبط بشكل وثيق بالإطار الثقافي الذي يلتقي فيه الأفراد والذي يعيشون في مكان واحد أو فترة زمنية محددة، ويؤثر فيهم ويتأثر بهم - وسنفصل مفهوم الثقافة أكثر فيما يلي - وبناءً على هذه الفكرة، فإنّ كل كلام يشكّل جزءاً من ممارساتنا السلوكية، وتختلف طرق الكلام واللغة بين الثقافات وتؤدي إلى تباين في السلوك والممارسات

بالتالي هناك ارتباطا وثيقا بين تكوين اللغة وتكوين العقلية السائدة في مجتمع ما، ينتج ذلك عن طبيعة التأثير المتبادل بين اللغة والتفكير واندماجهم سويا، كما رصد الفيلسوف الألماني (يوهان جوتفريد هيردر) العلاقات المتوازية بين (اختلاف التراكيب اللغوية) و(اختلاف طرق التفكير)؛ «فكل أمة تمتلك رصيداً من خاصاً من الأفكار التي تتحول إلى لغتها القومية». وطبقاً لهذا فاللغة القومية أو «العامية» كما نطلق عليها هي نتاج لفكر جمعي يميز بلد عن أخر. فالاشتراك بالأفكار المتمثلة في الأنساق الاجتماعية والتفاعلات اليومية وغير ذلك من السلوك الجمعي هو المصدر الأساسي للغة التي نتحدث بها، وكذلك يُعد امتلاك الأجيال والمجتمعات المختلفة والأشخاص للغة معينة وألفاظ خاصة بهم دليلاً على امتلاكهم لأفكار مختلفة عن أفكار من لا يتكلمون ويستخدمون نفس المعاني والألفاظ.



إذا أخذنا الاستعارة كمثال، سنرى أنها ليست محكومة بمبادئ عامة في جميع اللغات لكنها ذات خصائص شكلية بطبيعة كل لغة، ومن (خصوصية الشكل) نكتشف (الخصوصية الدلالية)؛ ومن ثَمَّ (الخصوصية الثقافية). ما معنى هذا الكلام؟ هذا الكلام يعني ببساطة أن الاختلافات اللغوية تعني بالتبعية اختلافات ثقافية بين الناس، وبالتالي كلما ظهر شكل لغوي جديد به استعاراته التي يحيا بها ومعانيه التي يعيش عليها كلما ظهر لنا خصوصية لهؤلاء المجموعات للدلالات التي يتضمنها حديثهم وبهذا تتضح لنا خصوصيتهم الثقافية عن غيرهم.

يمكننا أن نقول إذن أن الاختلافات بين اللغات ليست مجرد اختلافات صوتية، بل هي في الواقع تتضمن اختلافات في تفسير العالم وفهمه من قِبَل المتكلمين بكل لغة. وبالتالي، فإن الأشخاص الذين يتحدثون لغات مختلفة يعيشون في عوالم مختلفة، وقد يكون لديهم نظرة مختلفة تجاه العالم والأحداث والظواهر التي يشهدونها.

وبالطبع، فإن العالم الذي يعيش فيه الأشخاص والجماعات المختلفة له أشكالاً مختلفة أيضاً، وليس مجرد عالم واحد معين له تسميات مختلفة.

لا يمكننا أن نحصر الإنسان بوصفه مجرد كائن بيولوجي، بل هو كائن ثقافي،

يعيش حسب معطيات من اللغة والفن والأعراف الاجتماعية والعادات والتقاليد وما غير ذلك من الأشياء المشتركة بينه وبين من يعيشون معه في نفس البقعة من الأرض وفي نفس الزمن. بالتالي فالإنسان ابن الثقافة التي يولد فيها من لغة وأفكار وعادات وأخلاق ودين، ويتأثر بها بشكل كبير خلال حياته.

والفعل الوحيد الذي يمكن للإنسان فعله هو التساؤل حول تلك الأشياء والبحث عن مصادرها، ومحاولة فهمها وتحليلها، ولكنها في النهاية تبقى مسلطة عليه بفعل المجتمع المحيط به والرمزيات التي يتبناها ذلك المجتمع. ومن هذا المنطلق، فإن الإنسان يعيش في عالم متأثر بالثقافة والتاريخ والتقاليد والقيم الاجتماعية والدينية، وهذه العوامل تؤثر بشكل كبير على طريقة تفكيره وسلوكه وأفكاره ومعتقداته. وبالتالي، فإن الثقافة هي جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان، وتعتبر من أهم العوامل التي تشكل هويته وتحدد مسار حياته.

عندما تظهر كلمة جديدة دارجة في عامية مجتمع ما، فقد يهتم البعض بمصدرها، وقد لا يهتم آخرون، ولكن الغالبية ينتهي بهم الأمر باستخدامها سواء فهموا مصدرها أم لا. وهكذا تسير الظواهر اللغوية كمكون رئيسي للإطار الثقافي الذي يعيشه الإنسان، حيث تتحكم تلك الظواهر اللغوية في إدراك وسلوك الإنسان دون أن يعي المتكلمون ذلك التحكم.

وبالتالي، فإن الفعل الاجتماعي المنبثق من تلك الظواهر اللغوية يكون طبقاً لهذا التحكم، ويشكل جزءاً من الإطار الثقافي الذي يعيشه الإنسان في مجتمعه المحلي. فعلى سبيل المثال، يمكن أن تظهر كلمات جديدة في عامية معينة تتعلق بظواهر اجتماعية أو ثقافية محددة، وقد يكون استخدام تلك الكلمات جزءاً من الهوية الثقافية لتلك المجموعة وطريقة تفكيرهم وتصورهم للعالم.

ولذلك، فإن الظواهر اللغوية تشكل جزءاً هاماً من الإطار الثقافي للإنسان، وتؤثر بشكل كبير على طريقة تفكيره وسلوكه. ولذلك، فإن فهم تلك الظواهر اللغوية وما تعبر عنه من ثقافة وتاريخ وقيم اجتماعية يساعد على التفاهم الثقافي بين المجتمعات المختلفة.

تقود الأنظمة النحوية المستخدمين إلى اعتماد أنماط مختلفة لملاحظة الأحداث الخارجية المتشابهة وتقييمها، ولا يتساوى الناس في هذا الأمر؛ إذ تتشكل تجربة الفرد الذهنية وفقاً للنسق اللغوي المعتمد في مجتمعه. وبسبب اختلاف الأجيال وانفصالها، يصعب على الأفراد التوافق حتى في قراءة الأحداث الخارجية المتشابهة. على سبيل المثال، يمكن للأب والابن أن يحضرا نفس الحفل الموسيقي لمطرب أجنبي يحطم جيتاره خلال العرض، وقد يرى الأب هذا الحدث بمثابة فوضى غير ضرورية، بينما يراه الابن حدثاً رائعاً ومثيراً يستحوذ على انتباهه.

تؤثر لغتنا على عالمنا النفسي بنفس القدر الذي يؤثر عالمنا النفسي على لغتنا. لذلك، فإن الفكرة البديهية التي تقول إنه يمكننا التعبير عما نشعر به فقط باللغة لا تخفى على أحد. وبالإضافة إلى ذلك، فإن التعبيرات الداخلية التي تدور في عقولنا هي تراكيب لغوية أيضاً.

ومن الممكن أن يؤدي فقر المصطلحات لدى بعض الأفراد إلى فقر في المعاني الداخلية والمعبرة، مما يمكن أن يعرضهم لصعوبة في التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم للآخرين، وأسوأ من ذلك، لأنفسهم. وينتج عن ذلك أشكالاً مختلفة من التواصل بأنماط أخرى، كأن يقول جملة قصيرة سريعة من المفترض أنها تمتلئ بالكثير من المعاني التي يقصدها ويريد التعبير عنها، لكنه لا يستطيع إظهارها وتفصيلها فيتبع تلك الجملة القصيرة نظرات بالعين، وتساؤل منتشر بين الناس وهو (فاهمني!). فالفقر هنا ليس فقراً في المعاني، ولكنه فقر في القاموس الاصطلاحي المعبر عن المعاني الداخلية عند الفرد.

يؤدي كل هذا إلى «نسبية المفاهيم»، فعلى سبيل المثال، قد يعتقد البعض أن جميع البشر يتفقون على تصورهم لمفهوم الزمن، ولكن في الحقيقة، فإن ما يفهمه العربي، على سبيل المثال، عن الزمن يعتمد على مفردات اللغة العربية وتراكيبها ودلالاتها الثقافية المتعلقة بهذا المفهوم. ومن المثاليات اللغوية في اللغة العربية، دلالة «المضارع» على الحال والاستقبال، بينما هناك صيغ مستقلة للماضي، مما يوضح أن العربية لا تركز بالضرورة على «الزمن» بقدر ما تركز على «الحدث» بشكل

خاص، وصيغ الماضي هذه لا تحمل دلالات على البُعد أو القُرب من زمن المتكلم، وإنما تحمل دلالات على الكيفية التي تم إنجاز الحدث بها.

وهناك تنوع كبير في اللغات حول العالم في التعبير عن فكرة الزمن. على سبيل المثال، هناك إحدى لغات الهنود الحمر التي تعطي أربع صيغ للماضي حسب بُعد الفعل أو قُربه من لحظة الحديث، وهناك لغات أخرى لا تهتم بالتمييز بين المستقبل والحاضر. وفي الإنجليزية، نجد فقط التمييز بين الماضي والحاضر، بينما في الفرنسية، نجد سلماً من الأزمان المتنوعة التي لا تعبر فقط عن أقسام الزمن الثلاثة «ماضٍ وحاضر ومستقبل»، بل تعبر أيضاً عن الفروق النسبية للزمن.

وبالتالي، فإن تفاوت اللغات في تجسيدها لفكرة الزمن يعكس تفاوتاً في التصورات التي تطرحها الأنماط الثقافية المختلفة حول الكون والحياة. ويمكن لهذا التنوع اللغوي أن يؤثر على طريقة التفكير والتصور التي يتبناها الناس في مجتمعاتهم، وقد يؤدي إلى اختلافات في الثقافات والعادات والتقاليد.

يمكن القول إذن أن نسبية المفاهيم تلك هي إطار من الاختلافات التي تبرز كلامنا كله فإذا كان لدى جيل الآباء مفاهيم محددة لبعض المصطلحات التي نستخدمها في الحياة اليومية التي يتمسكون بها ويرونها الأصح والأصوب دائماً، فتتغير مفاهيم تلك المصطلحات وتتبدل مع الوقت ويشعر بذلك ويعايشه جيل الأبناء، وعلى الأغلب فإن جيل الأبناء هو المسؤول عن عملية التبدل لتلك المفاهيم.

لقد ضربنا مثالاً بمفهوم الحب فيما سبق ومدلولاته واختلافاتها بين السامعين. لنضرب مثالاً آخر وهو مصطلح (الكآبة). قد يعني هذا المصطلح العام عند جيل الآباء حالة من الحزن الشديد وتوقع الأسوأ. أما بالنسبة لجيل الشباب الآن فإن هذا المصطلح قد يمثل شيئاً أقرب إلى السباب أو الخصلة التي تلتصق بشخص ولا تفارق تعريفاته الاجتماعية في حديث الآخرين عنه، وبالتالي أصبح للمصطلح نظرة سلبية لا تبلور الأمر حول كونها حالة وستمر.

مما سبق يتلخص التصور الذي نعرضه عليك أيها القارئ العزيز، في أن للغة ميزتين أساسيتين توصل إليهما العلم الحديث قد تكونان هما عامل الحسم في

تفسير الفجوة الثقافية بين الآباء والأبناء، الأولى هي أن اللغة تلعب أهم الأدوار في تشكيل الفكر وأنها تؤثر في تشكيل الإدراك والمعرفة. الميزة الثانية هي أن الاختلافات اللغوية تكشف عن اختلافات ثقافية في رؤية الحياة والكون وهو ما عبرنا عنه مراراً بنسبية المفاهيم ونسبية فهم معاني الكلمة الواحدة أو المصطلح الواحد.

نستنتج مما سبق إذن أن تاريخ اللغة وتاريخ الثقافة متوازيان، حيث تشمل الثقافة على اللغة وتاريخها الدلالي للمجتمع وأفكاره وعاداته ومعتقداته المحفوظة في تلك اللغة. ومن المعروف أن اللغة الهيروغليفية القديمة اضمحلت واخفتت، مما أدى إلى انفصال المصريين عن تاريخهم ومعرفة أجدادهم من قدماء المصريين. ولكن بفضل فك رموز حجر رشيد على يد (شامبليون)، فُهِمت تلك الحقبة وتاريخ أفكارها وعادات وتقاليد مجتمعها، مما جعل اللغة القريبة تعبر عن التغيرات الثقافية التي حدثت في المجتمع بفضل أفراده.

وبالرغم من أن كل جيل يمتلك تغييراً ثقافياً ما عن الجيل السابق له، إلا أن دخول تغيرات ثقافية حادة والاستيراد الكامل لثقافات جديدة بفعل (الموبايل) وشبكة الإنترنت يؤدي إلى توسيع الفجوة الثقافية الموجودة من الأصل، وبالتالي تحدث فجوة لغوية أكبر وأكثر وضوحاً. ومن بين الأمثلة على ذلك، الاختلاف التام بين الجيلين في القاموس الدلالي للمصطلحات القديمة وإيجاد مصطلحات جديدة لها مفاهيم خاصة تخص جيل الأبناء ولا يستطيع جيل الآباء مسايرتهم فيها، على الرغم من محاولات البعض من هؤلاء الآباء كمحاولة منهم في الظهور بمظهر الأب العصري. وبالتالي، فإن الفجوة اللغوية والثقافية بين الأجيال المختلفة حتمية، وتحدث بشكل طبيعي، ويجب علينا الاعتراف بها والعمل على تفهمها وتخفيف تأثيرها.

كما يوضح ذلك التصور الحديث أن كثرة مشتقات لغة ما تعكس نزعة اللغة للحرية والطموح، واللغة العربية هي اللغة التي نتحدث عنها في هذا الكتاب.

ورغم مرور الزمن، لا تزال اللغة العربية تحتفظ بعدد كبير من المشتقات التي تُستخدم بشكل يومي في الثقافة الشعبية، ولا تقتصر على إحياء المصطلحات

القديمة فحسب، بل تجاوزت ذلك لتشمل خلق مصطلحات جديدة. ومن الأمثلة على ذلك، تغيير التعامل مع مصطلح ما في اللغة العامية واستخدامه بمعنى مختلف تماماً، كما في حالة مصطلح «أسطى» في مصر الذي كان يُستخدم لوصف السائق لعقود طويلة، إلى أن جاء جيل الألفية (Millennials) وغير المعنى واستخدامه للإشارة إلى الصديق القريب. ويدل هذا على حرية اللغة العربية في التطور والتغيير، وعلى قدرتها على التأقلم مع التغيرات الاجتماعية والثقافية.

بهذا تكون درجة الانفصال القائمة بين الجيلين معمقة وواضحة للعيان بفعل الاختلاف اللغوي والاختلاف الثقافي في آنٍ واحد ويؤثر ذلك على البنية النفسية وصور الحديث الخطابي بين الجيلين وعلى فهم كل جيل للآخر.

هكذا يبدو كأن لسان حال جيل الأبناء يقول: «ركز على معنى الكلام نفسه لا الكلمات وتركيبها وحسب»، إذ لا يهم ما يقال بالضبط، طالما أن المعنى الجمالي أو الأخلاقي المقصود هو الأساس. بالتالي ينبغي علينا - وفقاً لما يريده الجيل الأصغر - ألا نعير اهتمامنا للكلمات بقدر ما نصب كل تركيزنا وجهدنا في محاولة الوصول للمعنى المضمّن في ثنايا الكلمات التي نسمعها.

أما عن جيل الآباء فقد انطبع في أذهانهم أن الكلمات مواد ناقلة وموصلة للمعاني، فهي وسيلة إيصال بقدر ما هي وسيلة اتصال، فلن يتمكن المستمع من فهم المعنى دون أن يعبر المتكلم عما يقصده برمز واضح وصريح وهو الكلمة وتكون هذه الكلمة ذات أهمية وقدر ما دام المعنى المتضمن فيها جديراً بالتقدير والتفضيل.

إذن، تختلف العلاقة بين الأجيال وارتباطها بمعاني الكلمات باختلاف تركيبها زمانياً وفيزيقياً. فالإسهاب والإطناب في استخدام الكلمات مقابل الاختصار والإيجاز، يعتمد على الغرض من استخدام اللغة والمستوى الثقافي والتعليمي للأفراد.

ومع ذلك، فإن التركيز على المعنى وجلبه من عالم الأفكار إلى عالم الحس والإدراك يتطلب استخدام تكتيكات فنية مختلفة. وتعتمد قيمة المعنى وسهولة الوصول إليه على مدى أهميته وحاجة الفرد إليه في إجراء مهمة معينة.

أي إنه «ثمن معلومة قديمة، إنها حاضرة مسبقاً في تمثيل الفرد للعالم. إذا لم تكن مطلوبة لإجراء مهمة معرفية معينة، وإذا كان الوصول إليها عبر البيئة المحيطة أسهل من عملية استدعائها من الذاكرة، فإنها لا تستأهل المعالجة»(1). (الرخاوي، 183، 2013).

ثانياً: أغانيه وأغانيك «كل يغني على ليلاه»:

إذا أردنا أن نرى الموضوع بعين متفحصة وشاعرية في نفس الوقت فلا سبيل لنا غير الفن، حيث يمكن اعتبار الفن لغة بحد ذاته، إذ يستخدم الفنان لغة فنية خاصة به لينقل إحساسه ومشاعره الداخلية إلى المتلقين. ويعتبر الفن طريقة لإعادة خلق الحياة بأسلوب فني فريد ومختلف في التعبير والبلاغة، وقد يؤثر في الحياة والمجتمع.

وكما يقول المِخرج (علي بدرخان) فإن الفن يمكن تقسيمه إلى درجتين: الدرجة الأولى هي إعادة خلق الحياة بأدوات فنية، والدرجة الثانية هي تأثير الفن على الحياة والمجتمع. وبالتالي، يمكن اعتبار الفن وسيلة لإيصال الرسالة وتعبير الفنان عن إحساسه ورؤيته للعالم، وقد يساهم في تحويل الأفكار والمفاهيم والمشاعر إلى تجربة فنية ملهمة ومؤثرة لدى المتلقين.

إن الفن المقدم لكل جيل عموماً وتحديداً الأغاني هي مجال دراسة وبحث كبير للفوارق اللغوية والخطاب السائد آنذاك.

حين نقارن نجد أن الخطاب يختلف حسب روح المجتمع وحواره السائد، وقضاياه المثارة، والإشكالات التي تشغل أذهان أبنائه. يختلف ذلك الأمر بين السبعينات والثمانينات والتسعينات، إلى جيل الألفية الحديث.

حيث نجد التطور واضحاً وجلياً في نوعية الخطاب وكلماته وطريقة إلقائه، بل حتى في كمية الجمهور المستهدف من هذا الخطاب، وينطبق هذا على الأغاني الكلاسيكية والشعبية أيضاً. بعد الحرب العالمية الأولى، شقت طقاطيق الأغاني الحسية طريقها كي تؤدى بين فصول المسرحيات، وأدى نجاحها بين الجمهور إلى

انتشارها. وقد شارك في هذه الظاهرة ملحنون كبار مثل: الشيخ (زكريا أحمد) و(سيد درويش) و(محمد القصبجي) و(محمد عبد الوهاب)، وغناها أشهر المطربين والمطربات مثل: (أم كلثوم) و(منيرة المهدية) و(نعيمة المصرية) و(بديعة مصابني) و(محمد عبد الوهاب)، وأغلبها كانت من تأليف (محمد يونس القاضي).

كما انتشرت في هذه الفترة، إلى جانب أغاني الجنس، ما سمي بـ «أغاني الصهبجية»، والتي تتناول الخمور والمخدرات والقمار التي حظيت بشعبية كبيرة، وكانوا يغنونها في المقاهي وفي حفلات الزفاف الشعبية. وربما يرجع اللقب الذي أطلقوه على أنفسهم إلى تحريف كلمة صحبة، أو إلى الخمر (الصهباء). مع ظهور الحشيش والكوكايين في تلك الفترة، غنى لهما (سيد درويش) الذي لحّن أغنية أيضا عن لعب الورق «القمار»، وغناها (محمد عبد الوهاب). يقول (كامل الخلعي) عن هذه الظاهرة في كتابه «الموسيقى الشرقي» الصادر عن دار مدبولي الصغير: «إن جماعات الصهبجية أو أصحاب قهاوي الحشيش كانوا يجلسون جماعتين متقابلتين على دكتين، وسطهما طاولة عليها شمع وزجاجات الخمر الرخيص، يغنون الموشحات المصرية والشامية، وعند نهاية الموشح يبدأ أحد الصبية بغناء موال غاية في سخافة الألفاظ وقبح المعاني».

قد يبدو للقارئ العزيز هذا الخطاب مستغرباً أو مستقبحاً، ربما لتنافيه مع تصوراتك عن العصر القديم أو جرأته نوعاً ما، ولكنك لو عدت بالزمن قليلاً فلن تشعر بهذا القدر من السوء، ربما لطبيعية هذا الخطاب آنذاك.

ومر زمن قصير جداً..

جاءت معانٍ وطرق تعبير أخرى، فانظر إلى التعبير عن الحب والصبابة بألفاظ عربية فصيحة وأداء قوي لا يضاهيه شيء، ومعزوفة موسيقية تأخذ العقل والخيال إلى عوالم أخرى، تجعلنا نتخيل مشاعر الكاتب والملحنوالمغني في وقت واحد. لننظر إلى أطلال (أم كلثوم) حين قالت:

هل رأى الحب سكارى، سكارى مثلنا؟

كم بنينا من خيال حولنا

ومشينا في طريق مقمرٍ

تثب الفرحة فيه قبلنا

وضحكنا ضحك طفلين معاً

وعدونا فسبقنا ظلنا

وانتبهنا بعد ما زال الرحيق

وأفقنا ليت أنّا لا نفيق

يقظة طاحت بأحلام الكرى

وتولى الليل والليل صديق

وإذا النور نذيرٌ طالعٌ

وإذا الفجر مطلٌ كالحريق

وإذا الدنيا كما نعرفها

وإذا الأحباب كلٌ في طريق

أيها الساهر تغفو

تذكر العهد وتصحو

وإذا ما التأم جرحٌ

جدّ بالتذكار جرحٌ

فتعلم كيف تنسى

وتعلم كيف تمحو

يا حبيبي كل شيء بقضاء

ما بأيدينا خلقنا تعساء

ربما تجمعنا أقدارنا

ذات يوم بعد ما عز اللقاء

فإذا أنكر خل خله

وتلاقينا لقاء الغرباء

ومضى كل إلى غايته

لا تقل شئنا، فإن الحظ شاء



إذا تقدمنا قليلاً عن تلك الفترة وجئنا بما هو أقرب لعصرنا، فنأخذ مثلاً أغنية «بنت السلطان» لـ (أحمد عدوية)، سنجد فيها تغييراً شاملاً في طبيعة المعنى حيث صار أقل عمقاً وأضعف تخيلاً، وباتت الصور الاستعارية، وجماليات النص تختفي ويميل الغناء إلى التعبير عن الواقع أكثر من الخيال، بل يصف مناطق جغرافية وأشياء أولية في تشبيه الحب، واكتفت الأغنية بتعبير مجازي واحد وعمل شاق للموسيقيين واختلاف تقاسيم الصوت والتوزيع الموسيقي:

يا بنت السلطان.. حنّي على الغلبان الميه في إيديكي.. وعدوية عطشان

على كوبري عباس.. ماشية وماشية الناس ماشية تبص عليكي.. يا فروتة وأناناس

فبعد أن انقضى زمان الأطلال، و«جفنه علّم الغزل» صار الاتجاه إلى ألفاظ أكثر سهولة وقرباً إلى العامية وارتباطاً بالأماكن التي يعايشها الناس ويرونها في واقعهم؛ ربما ليسهل عليهم تذكر هذه المنتجات الفنية حين يمرون أو يشاهدون تلك الأماكن وهو ما كان ولا زال يحدث بالفعل.

كانت الثمانينات العصر الذهبي لشرائط الكاسيت، وقد أتت بعد نهاية ما يُعرف بالزمن الجميل المتمثل في (أم كلثوم) و(محمد عبد الوهاب) و(عبد الحليم حافظ) وفتحت الباب أمام أصناف جديدة، وفرق تعمل على بلورتها بعد سنوات من التجارب والتخبط.

كان أسهل شيء هو تسجيل شريط كاسيت يحمل صوتك وأغانيك؛ لذا فقد ظهر الكثير واختفى الكثير من المغنين في تلك الحِقبة، منهم من انتهى به الحال إلى الاعتزال، وبعضهم اختار التدين، والبعض الآخر استمر في الغناء ولكن على نطاق محدود، دون أن يتركوا وراءهم أعمالاً استمرت ذكراها حتى يومنا هذا.في التسعينات سيطرت أغاني (هشام عباس) و(حميد الشاعري) و(إيهاب توفيق) و(مصطفى قمر) مقدمين نوعاً مختلفاً عن السابق مازجاً بين القديم والحديث.

تتميز أغاني التسعينات بإمكانية تمييزها منذ النغمة الأولى للأغنية، وحين نسمع إحدى تلك الأغاني في الوقت الحالي، نستعيد معها ذكريات لسنوات طويلة، حيث قدمت لنا فنّا مختلفاً ومميزاً وموسيقى شابة طازجة مع كلمات صادقة، لذلك استطاعت أن تعيش رغم مرور السنوات. لنأخذ أغنية «منايا» لـ (مصطفى قمر) مثالاً، في تلك الفترة ظهرت فكرة إعادة لنفس المقطع خلال الأغنية الواحدة ربما لأكثر من ثلاث مرات، وأدى ذلك إلى أن أصبح المعنى أقل فاعلية، وأقل ثراءً الصور الجمالية، واتجهت الأغنية أكثر لحفظ الرتم الموسيقي وتكرار الكلمات. إذا عدنا لزمن قديم ونظرنا إلى الملكة العربية الشعرية سنجد أن الكلمات قديماً هي الأصل دائماً وأن الموسيقى دخلت كعامل مساعد لتعمل على تمايل الكلمات عند العرب، لكن يختلف الأمر قليلاً عند الغرب. في ظل التطور سابق الذكر صارت الأغنية شيئاً فشيئاً تتجه نحو الاعتماد على الموسيقى، والرتم الذي يثبت بالعقل ونتذكره دائماً،

لكن كثيراً ما ننسى الكلمات ونكتفي بتذكر الموسيقى. لو كنت تحفظ مثلاً أغنية «الأطلال» لـ (أم كلثوم) وتحفظ كذلك أغنية «قمرين» لـ (عمرو دياب) وطلبت منك أن تخبرني بأول طارئ على عقلك حينما تتذكرهما (الموسيقى أم الكلمات) في كل منهما؟وإذا ما أجبت على هذ السؤال فقد يتضح لك أن إجابتك عن أغنية «الأطلال» تمثل ثقافة الأب، أما إجابتك عن أغنية «قمرين» تمثل ثقافة الابن.



تغير العالم الآن عن ذلك كثيراً وصارت التحولات تعمّق الفجوة أكثر وأكثر، فأغاني (الراب) مثلاً أصبحت ثقافة جديدة بها تعبيرات وصور معبرة عن عقل ووجود

شباب ينتهجون معايير جديدة تحمل بداخلها صوابهم الذي يرونه هم جيداً وبها ما يتفقون أنه خطأ جسيم.

هم من يضعون لأنفسهم ما الصواب وما الخطأ لا ما تفرضه عليهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية أو غيرها، فـ «الجدعنة» تعد في ذلك السياق أسمى الصفات، والتعاضد بين الأصدقاء هو سر مهابة الآخرين لشخص ما لأنه يقف بجانبهم دائماً، كما أن الغدر والخيانة والعلاقات خارج قانون الرجل - بمفهومه الاجتماعي - وتعاملات الشباب مع النساء هي معايير الحكم على الشاب من جماعته المحيطة وتقويم أفعاله. يحمل هذا النوع من الموسيقى نوعاً خاصاً من التعبير عن مشاعر

الشباب وقضاياهم، إضافة إلى كون مغنيه من نفس فئة مستمعيهم العمرية بالإضافة إلى أن الكثير منهم عاش نفس التجارب التي يصفها المؤدون في ألحانهم وأغانيهم، وربما كان هذا سبباً أخر في انتشارها السريع والكبير.

إذا أردنا أن نقارن الآن بين هذه الخطابات المتنوعة على مر الأجيال والنداء الذي يناديه الفن لأبناء الجيل المعاصر (2000) سنجد اختلافاً في العديد من النقاط، فبينما كان الجيل القديم يسهب في سرد صفات الموضوع أو القضية أو المحبوبة أو أياً كان، فإننا نشعر أن الجيل الحالي أكثر اهتماماً وتعلقاً بما ينبغي أن يفعل (الخلاصة)، ولا يهتم بكثرة التفاصيل والاستعارات والصور الواردة قديماً لجذب المستمع وإضفاء الغرابة، فهو مختلف في التعابير العاطفية، وأكثر سعياً نحو الفعل، وينشد الاختصار تجاه التفاصيل.

في أغنية البخت لـ (ويجز) التي لاقت نجاحاً واسعاً وانتشاراً كبيراً بمجرد صدورها، نجد الاختصار والقطع في الأفكار أكثر بياناً من التوصيف، نظراً لكلماتها المختصرة وسهولة ألفاظها وقصر مدتها بلا شك، حيث يصف معاناته في الحب عن طريق عدة كلمات، ربما لا تتجاوز تعداد فقرة واحدة أو كوبليه واحد من أغنية لـ (أم كلثوم).

(سحرتني ولا سحرتلي؟)

وعيون مش محتاجة تسحرلي

مش عايزة تجيبني بس جابتني

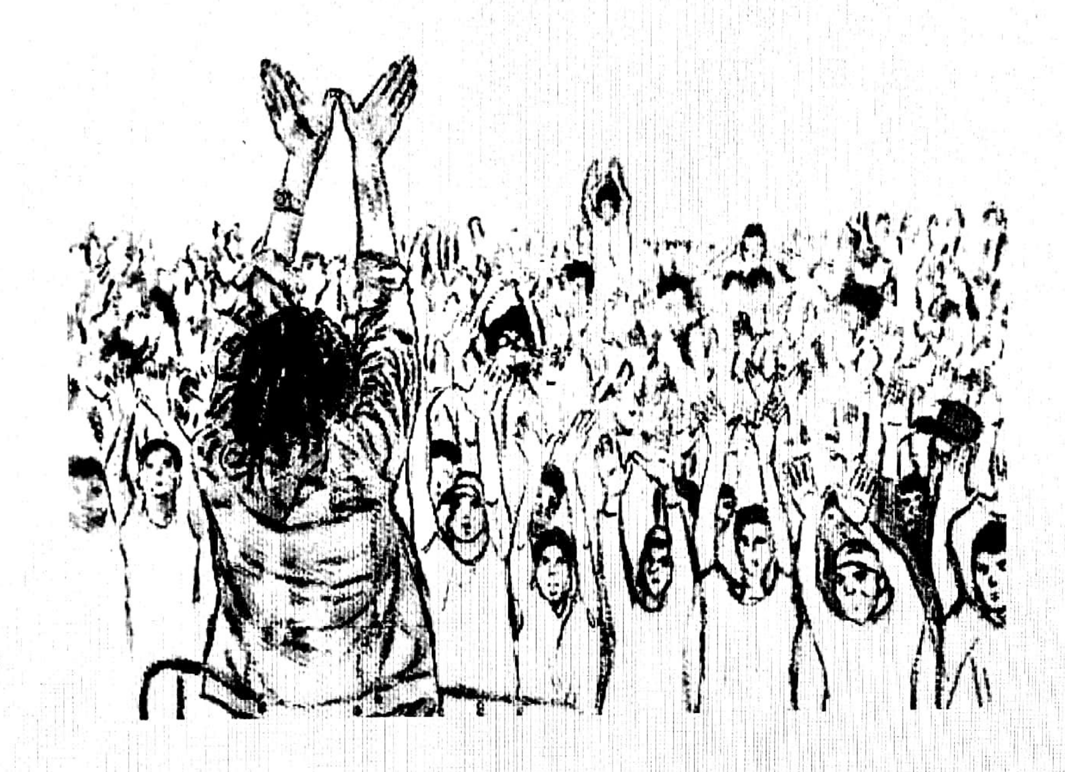
ونسيتني وفي قصتي حبستني

والله ووقعت، بفكر فيك، كتير بالي عليك مشغول

وأنا بتصعب عليا حالي وأنا بكتبلك كلام معسول

بعيد عن عيني ويا عيني مع غيري ومش مبسوط

ده أنا أضيع عمري يا عمري وأحبك حب مش مشروط



تكمن الفكرة بأكملها في إيصال المغزى عن طريق السطور المختصرة والمكررة سريعاً وراء بعضها البعض مع إيجاد اللحن المناسب للفت الانتباه وربط قوام الأغنية ببعضها البعض وتسهيل حفظها واستذكارها أو كونها أيقونه حاضرة في أذهان المستمعين.

اختلف علماء التاريخ في تصور طريقة تكرار التاريخ أو عودته بشكل آخر ومنهم من رأى التاريخ كدائرة تعيد نفسها كل مجموعة أعوام أو قرون، ومنهم من رأى أن التاريخ خط واحد يسير للأمام ولا يرجع للوراء، فهل طبقاً لما سمعت ترى أن مرحلتنا الفنية الحالية عربياً هي إسفاف وسنعود مرة أخرى للزمن الرائق والكلمات الفصيحة أم أننا بتطور يصعب إيقافه نحو كل جديد والجديد دوماً محموداً أم تريد طرح شيء آخر؟

ثالثاً: الاختلافات اللفظية بين التفصيل والإجمال:

هناك بعض الكلمات التي كانت تعني دلالة معينة، ثم صارت مع مرور الزمن تعني شيئاً أو أشياءً أخرى. دائما ما تعبر لغة العصر عن تغير مستمر لاستخدام بعض الكلمات والمصطلحات التي كانت تعني شيئاً، ثم اكتسبت دلالات أخرى فوق ما كانت تحمله من معنى مثل كلمة «قشطة» في الشارع المصري الآن، فهي في الأصل

كانت ولا زالت تدل على أحد مشتقات الألبان المحببة للكثيرين، لكن مع مرور الوقت صارت تعني «شكرا» أو «عفواً». كما تدل على الموافقة، وتحمل معنى الإعجاب بالجمال والرغبة في التعبير عنه، وتُفهم تلك المعاني حسب السياق وتوقيت استخدام الكلمة.

كما تصاحب أدوات النداء نفس التأثير الزماني، والذي قد يكون تهكمياً في الوقت ذاته، فمن «أفندي» و«أستاذ» و«باشا» إلى «يسطا» و«يا صاحبي» و«يا زميلي». التي صرنا نسمعها الآن ولا نستغربها ولا نجد وقعها صعباً على الأذن. لننظر إلى لغة الشباب الآن، ونتأمل كلام أحدهم حين يرفع هاتفه على أذنه ليجيب عن مكالمة واردة، سنجد أن الكلمات الافتتاحية للرد على المكالمات على الأغلب واحدة هذه الأيام، فسيقول «إيه الأخبار يسطا؟» أو «إيه الدنيا يا زميلي؟» أو غير ذلك من تعابير مشابهة باتت تتخذ صفة الاعتياد والطبيعية في نفس الوقت.

إذا اعتمدنا على تحليل الخطاب الاجتماعي، يمكننا أن نرى صفات كثيرة من الصفات الاجتماعية التي يزيد قدرها تارة ويتم نسيانها تارة أخرى، على سبيل المثال، صفات «الجدعنة» الشعبية والاعتداد بالرجل الفاصل في المواقف العصيبة بالشارع أصبحت سمات ذات رونق شعبي معبر جداً عن حالة الانفصال اللغوي بين الجيلين. على نطاق آخر يظهر جيل الآباء بأسلوب تحليلي اعتاد عليه من خطابات كثيرة تعرض لها هو في السابق، جعله ذلك الأسلوب التحليلي ينظر مباشرة إلى الخيار الأصوب دائماً بوجهة نظره، وبهذا تتعمق الفجوة اللغوية والذهنية في وقت واحد بين الجيلين.

هذا الأمر ليس حكراً على لغة واحدة أو لهجة واحدة فحسب، بل يتسع الأمر لما هو أبعد من ذلك حتى يشمل أغلب لغات العالم المتداولة، ففي الانجليزية مثلا كان لكلمة (Cool) معنى واحد فقط وهو ما يتصل بالبرودة وما شابه ذلك، أما الآن ومنذ سنوات قليلة تطور الأمر، ليجعلها تأخذ أيضاً معنى القدرة على التحكم في الأعصاب أيضاً.

بناءً على تلك الدلائل والأمثلة، قد نجد أنه كلما تبسط الجيل الأصغر، وتمسكوا

بلكنة أو لهجة معينة عامية وشعبية، وامتازت تلك اللكنة بالمحلية؛ صار ذلك الجيل أصيلاً وفاهماً، والأصالة هنا تعني بالنسبة له الأفضلية وأن الشخص ذو شخصية غير مصطنعة. بهذا يكون حديث الأب والجيل القديم هو حديث بمنطق مختلف وتراكيب أخرى، لا تتفق مع منطق جيل الأبناء بوجهة نظرهم.

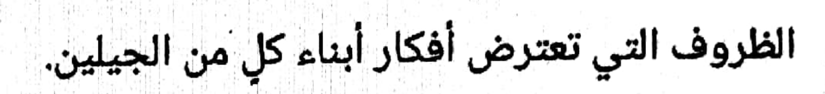
تظهر لنا الآن ملحوظة هامة، وهي كيف تحمل اللغة العامية بداخلها أو تحجب في باطنها فجوة بين الأجيال كيف لا وهي في المقام الأول ابتكار أبناء الجيل، وعصارة حضوره، ومعنى وجوده وتواصله، وهو ما لا يتماشى بالطبع مع ذوق الأجيال السابقة أو حتى القادمة.

كما أن المصطلحات العامية تُنتج ويتم تداولها وتأتي وتروح ما بين ظهور وانتشار ثم ثبات أو اختفاء، نفس الشيء مع الفجوات الثقافية حيث تتسع وتضيق ويتباعد طرفاها ويتقاربان حسب ظروف الزمان والمكان التي تتغير كل لحظة. هذا هو جوهر مسمى «الفجوة» فهي لا تُردم أو تمهد ويقام عليها جسور الوصل إلا بعد شد وجذب يستمر زمناً طويلاً، حتى تتحول هذه الحركة من شد وجذب إلى أريحية أو مرونة، لينعكس ذلك فيما بعد على التواصل.

تتشكل إذن صورة كبيرة وفقاً لهذه المجريات من أجل جلب المعنى وإحضاره أمامنا واضحاً ومجرداً، مهما كانت الطريقة التي فعلت بها ذلك، فقد تمكنت من التعبير، وعبرت حاجز الضرورة اللغوية بكل براعة وتمكن.

أما عن كيفية معالجة الأجيال هذه المعاني وفهمها أو تصوّرها، فهو ما يخلق فجوة واضحة وسوراً فاصلاً يذكي روح التنافس وربما الخلاف بين كل تلك الأجيال المختلفة.لنتناول معاً أي مفهوم يُستخدم ويُثار الجدل بشأنه ليل نهار! الفن مثلاً أو الحب، أو دعك من هذا وذاك، لنتعرض إلى «الخير»، وسنجد بلا شك آلاف الرؤى والأفكار التي تعبر بشكل أو بآخر عن المعنى محل النقاش.

تختلف كل جماعة زمانية كانت أو جغرافية في احتمال المعاني، وكذلك في التعبير عنها وصياغتها، ربما تتداخل وتتمازج بين جماعة وأخرى، إلا أنها قد لا تجد مثل هذا الامتزاج بين بعض الجماعات إما لصعوبة التعبير عن المعاني، أو لصعوبة



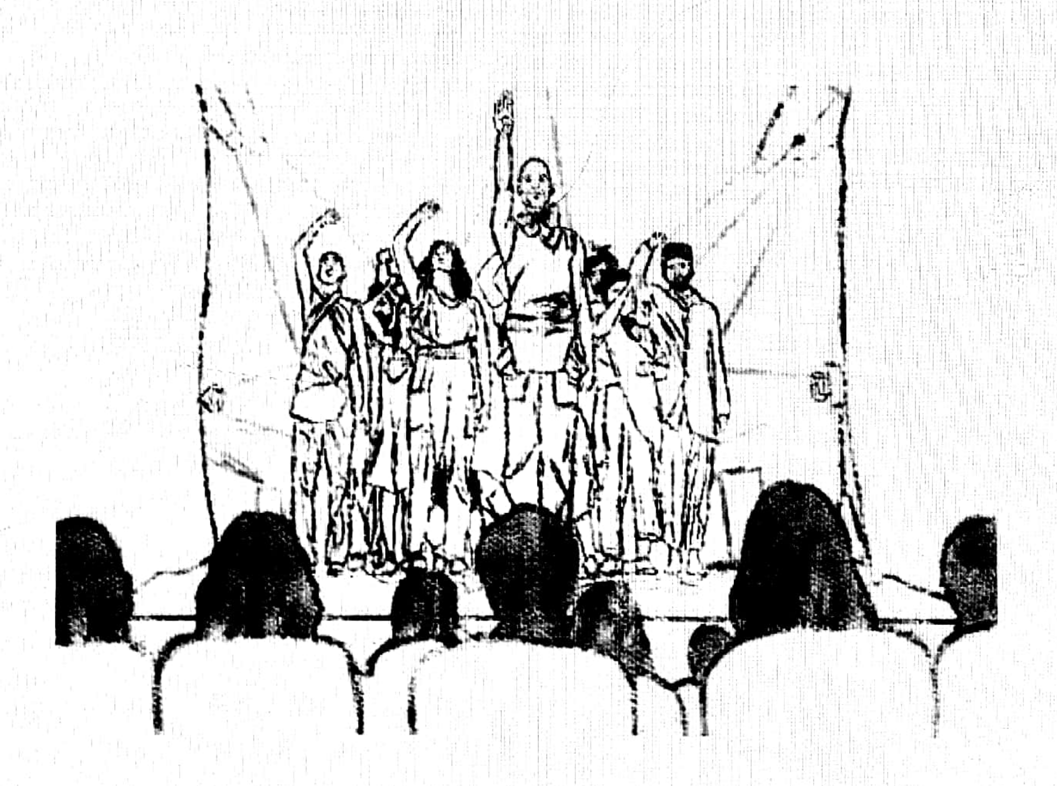
الظروف التي تعترض أفكار أبناء كلٍ من الجيلين.

التصورات الذهنية وتأثيراتها

أولا : التصورات الذهنية.. والأدوار المجتمعية:

المجتمع كخشبة مسرح..

تشبه الحياة خشبة المسرح، حين نُولد يفتح لنا الستار ونُعطى رزمة من الورق كُتب فيها دورنا الذي يحدده مكاننا من الحياة، ومكانتنا في الأسرة، ووضعنا في المجتمع، وأفق الحركة المُتاح لنا. يرسم دورنا المكتوب وأدوار الآخرين صورة التفاعل المفترضة، والعلاقات مع أولئك الذين يشاركوننا نفس خشبة المسرح، أي نفس المحيط الاجتماعي والحقبة الزمنية. أما الحوار المكتوب في أوراقنا فما هو إلا تفاصيل الدور الذي يفترض بنا القيام به؛ فهو السلوك المرسوم المتوقع أن يؤديه شاغل الدور.



قد يجيد أحدنا أداء دوره، فيلقي حواره بطريقة جيدة أو رديئة، أو قد ينسى الحوار كله أو بعضه، قد يرسم بأدائه صورةً جديدةً للشخصية التي يمثلها، أو يُخَيّب آمال الجمهور والشركاء بتقديم صورة بعيدة عما يتوقعونه منه، فيُقابل بصيحات الاستهجان إن خيب الظن، أو التصفيق إن أرضى الآخرين.

تؤثر سلوكيات كل شخص، أو طريقة تأديته لدوره على أفكار ومشاعر وسلوكيات الآخرين، وبالمثل تؤثر سلوكياتهم والمدخلات الثقافية التي يتعرض لها والبيئة الاجتماعية على سلوكه. وتوفر له البيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها - والتي نعني بها الأسرة ثم مجتمعه الصغير- مصدراً للمعلومات والإرشادات حول الطريقة التي يجب أن يتصرف بها، والعواقب المتوقعة لسلوكه المجتمعي، واستجابته للمواقف الطارئة، كردة فعله عند الحوادث الكبيرة أو احتياج الآخرين لمساعدته.

فالعائلة كما يقول عالم الاجتماع الأمريكي (تالكوت بارسونز) تلعب دورين أساسيين، هما: التنشئة الاجتماعية، والاستقرار في الشخصية. فخلال التنشئة الاجتماعية الأولية للطفل يتعلم أعراف وثقافة المجتمع الذي يولد وينشأ فيه، وبما أن هذه العملية تجري في السنين الأولى من حياة الفرد، فإن العائلة تمثل الساحة الرئيسية التي تتم فيها تنمية الشخصية البشرية ورسم ملامحها. (2). وقد طالت الأسرة أو العائلة في مجتمعنا تغيرات كبيرة مع مرور الوقت فقد انتقلنا على سبيل المثال من العائلة الممتدة، حيث المشاركة أساس الحياة إلى الأسر الصغيرة، أثرت هذه التغيرات على الأدوار المتوقعة والممكنة لأفراد الأسرة، وراكمت على كاهل الأبوين أعباءً أكبر، فأصبحوا لا يجدون العون الكافي في التربية والتوجيه كما كانوا يجدونه سابقاً، وتداعت تحت ثقل هذه الأعباء مقدرتهم على القيام بالواجبات والأدوار التي كان موزعة في المجتمع من قبل.

القدرة الأقل للآباء على القيام بواجباتهم، مع التغيرات الاجتماعية والثقافية الكبيرة التي حدثت ومازالت وستسمر في المستقبل والتي طالت كل مظاهر الحياة، كل ذلك أثر على جانبين مهمين: الأول هو طبيعة الثقافة التي يكتسبها الأبناء، والثاني هو صورة العلاقات وطبيعة الأدوار بين الجيل الأكبر - ممثلاً في الآباء -، والجيل الأصغر - ممثلاً في الأبناء -.

ولنأخذ مثالاً يوضح لنا التغير الذي حدث في الأدوار داخل المجتمع، وما رافقه من تغيرات في استمرارية الثقافة - بلا فجوات كبيرة - والترابط المجتمعي، حين يحكي لنا الدكتور (عبد الوهاب المسيري) في سيرته الشخصية عن صورة المجتمع

الذي عاش فيه صغيرا فيقول: «والإطار الذي تحركت فيه في طفولتي هو الأسرة الممتدة، بكل ما في الكلمة من معان. ففي الجيرة التي نشأت فيها كان الأطفال معروفين للجميع؛ ولذا كان الوقت الذي أقضيه في الشارع ليس مجرد «صياعة»، وإنما وقت للتنشئة الاجتماعية، على عكس الشارع هذه الأيام. كما كان الصبية الكبار يراقبون الصغار كأنهم أولياء أمورهم، مما كان يخفف العبء كثيراً على الوالدين». (3).

فبين مجتمع (المسيري) المليء بالتراحم الممتد، والمحدود في مصادر الثقافة، وبين مجتمعنا المفتوح على كل وسائل التكنولوجيا، ومظاهر الثقافة المهاجرة من المجتمعات الأخرى، تغيرت صورة الأسرة وتغيرت معها الكثير من صور الثقافة، والقيم والعادات التي ميزت مجتمعاتنا وأكسبتها خصوصيتها، وأدت السيولة التي بتنا نعيش فيها إلى تغير في نظرتنا لأنفسنا، وطريقة تعاملنا مع الأخر في حياتنا. فاحتياجاتنا اختلفت وأعادت طبيعة الحياة الجديدة تشكيلها، وأصبحت علاقة الأبناء بوالديهم مشوبة بالكثير من عدم التفاهم والتوقعات التي لا تجد مقابلاً عند الطرف الأخر.

في فيلم (إمبراطورية ميم) الذي لعبت فيه الفنانة (فاتن حمامة) دور أم أرملة تربي أطفالها بمفردها، وتواجه شخصياتهم ورغباتهم في أعمارهم المختلفة، وتتعامل في حدود الظروف المحيطة والإمكانيات المتاحة، قرر أولادها التمرد على سلطتها وإجراء انتخابات منزلية لاختيار رئيس مجلس إدارة المنزل. هذه المحاولة الكوميدية التي انتهت بفوز الأم مرة أخرى، لم تكن إلا تأكيداً على أهمية دورها وحب أبنائها، وأن العلاقة بين الآباء والأبناء على ما فيها من خلافات ومفارقة الأمنيات منها لما نجده في الواقع، هي علاقة مهمة لكل من الطرفين.



وتحكم العلاقة بين الآباء والأبناء عوامل كثيرة، منها ما يرجع إلى الظروف العامة والمتغيرات الاجتماعية، ومنها تغير الثقافة، وتغير الأدوار العامة المطلوب أداؤها من الأفراد حالياً، ومنها ما يرجع للفروق بين الأجيال ذاتها، وما يترتب عليه من فجوات. فهل تلاقي توقعاتكم من آبائكم ما تجدونه منهم؟!

الدور المتوقع والدور الفعلي للأب

(جلباب أبي الذي تمنيت لو كان بدلة)

يولد الناس في أوقات مختلفة؛ لذا فمن الطبيعي أن هناك أجيالاً مختلفة ستتشكل. ولأن العالم والمجتمع تغيران دائماً، فإن تصورات الأفراد وأفكارهم واحتياجاتهم ستتغير بناءً على الفترة التي نشأوا فيها، هذه الظروف المختلفة ستكون فجوات بين الأجيال المتعاقبة، والتي لا تتأثر فقط باختلاف الزمان الذي ولد فيه كل جيل إنما بالفروق الفردية والعوامل الاجتماعية والاقتصادية كذلك.

الفجوات التي يصنعها الزمن، وتعمقها الظروف بين الأجيال قد تخلق صراعاً بينها خصوصاً بين الآباء والمراهقين. كل واحد منا يتذكر مواقف كثيرة خضنا فيها جدالاً مع آبائنا كان فيها الاتهام بـ «إنت مش فاهم حاجة» متبادلاً بيننا، هذا الجدال وهذه الكلمات حاضرة في كل البيوت، بل ونجدها مجسدة في كثير من الأعمال الفنية، ومن أشهرها مسلسل «لن أعيش في جلباب أبي» المأخوذ عن رواية بنفس العنوان للكاتب (إحسان عبد القدوس).

حيث يقف (عبد الوهاب) في مشهد المواجهة الختامية بينه وبين أبيه بعد رحلة خاضوها من الخلاف في الآراء، وامتناعه عن مشاركته في العمل.

يقف راداً على تأكيد أبوه أنه قد وفر له ما لم يتوفر لغيره، فيرد (عبد الوهاب) أنه كان يتساءل دائما «إنت ليه بتعاملني كدا؟ ليه؟ ليه؟»، ليرد أبوه مبرراً أنه كان يعده لخلافته، ويقسو عليه خوفاً عليه أن يفسد ويكرر تجربته هو نفسه حين أضاع ثروة أبيه، بسبب لين تربيته له، لكن السؤال هنا أليس لكل زمان الطريقة الأنسب في التربية؟



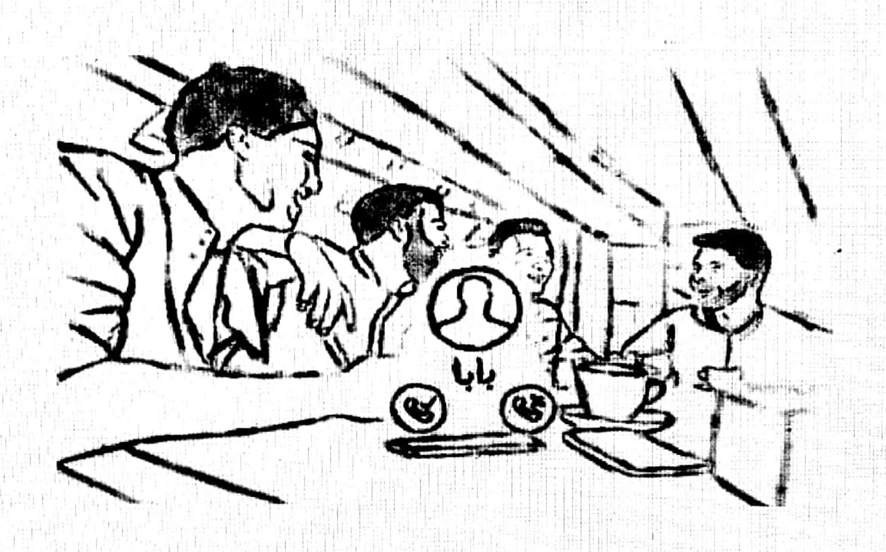
يعيش الآباء حالياً تحديات كبيرة في مجال التربية؛ ففي حين يقول المثل الإنجليزي «تربية طفل واحد تحتاج لجهود قرية كاملة» (it takes a village to raise a child)، فإن الآباء حالياً غالباً ما يجدون أنفسهم مسئولين بشكل كامل عن متابعة جميع تفاصيل حياة أولادهم، بالإضافة لمسئولياتهم الاقتصادية والتي أصبحت تشمل الأب والأم على حدٍ سواء. ثم تأتي الجهات التي أصبح الأطفال عرضة لتأثيرها، كدور رعاية الأطفال قبل المدرسة – الحضانات -، ثم المدارس، ووسائل التكنولوجيا الحديثة والتواصل ووسائل الإعلام، كلها عوامل تؤثر على دور الآباء التقليدي في التربية.

وقد ساهم الإنترنت في إحداث تغير مهم في المجتمعات بما قدمه من وسائل للتواصل والتلقي جعل العالم ينساب من خلال شاشات صغيرة إلى غرف الأبناء وعقولهم، فلا حدود ولا قيود تقف في وجه انتقال المعلومات.

والتربية بحكم وظيفتها وطبيعتها أكثر جوانب المجتمع عرضة للتأثر؛ فهي علاقة بين جيل أكبر برواسب وأفكار وقيم معينة، وجيل أخر أصغر يتأثر بكل ما يتعرض له. ولذلك فالمتغيرات الحادة التي ينطوي عليها عصرُ المعلومات وعصر الانفتاح، ستحدث تغيراً كبيراً في منظومة التربية: مناهجها وأساليبها وأثرها؛ ولذا أصبح من المهم مراجعة منظومة التربية، لتتوافق مع الأثر الذي ستؤديه في زمن الانفتاح.

حيث يعد الآباء اليوم أطفالهم لعالم لسنا متأكدين من شكله.

ولأن التغيرات في مجال التكنولوجيا الحديثة سريعة جداً ولا نعرف إلى أين ستصل، فمجهود الآباء يقوم على تخمين ما سيكون أفضل لأبنائهم في المستقبل، فلا معلومات أكيدة بشأن المستقبل. والتكنولوجيا ليست شيطاناً بالتأكيد، لكنها ببساطة أصبحت تلعب دوراً هائلاً في تشكيل الأطفال. فكثير من الأبحاث تؤكد أن الأصدقاء، ووسائل التواصل الاجتماعي يؤثران في حياة المراهقين أكثر مما يفعل الآباء. عندما لاحظ الآباء ما أصبحوا يعيشونه مع أبنائهم شعروا أنهم يفقدون السيطرة على أطفالهم.



يمثل نظام التعليم مصدر ضغط كبير على الأطفال والآباء، حيث يتعرض الأطفال لبيئة دراسية ضاغطة تحرمهم من الاستمتاع بجوانب حياتهم واكتساب الخبرات خارج المدرسة، بينما يتعرض الآباء لضغوط من ناحية النتائج التي يجب أن يحققها أبناؤهم، وهذا يؤثر على طريقة تعاطيهم مع أولادهم وتوقعاتهم منهم. وقد يؤدي ذلك في بعض الأحيان إلى أن يعطي الآباء ذوو النوايا الحسنة الأولوية للعلامات والإنجازات على حساب الصحة العقلية لأولادهم وعلاقاتهم معهم. وهذه الردود الفعلية مفهومة تماماً، خاصةً عندما يحاول الآباء تربية أولادهم ليستطيعوا النجاح في العالم الحديث الذي يضغط على الجميع، لكن في بعض الأحيان يكون الضغط كبيراً جداً، مما يؤدي إلى توازن غير متكافئ في حياة الأطفال.

يتوقع الأبناء من آبائهم أن يشجعوهم على الاستقلالية ويمنحوهم المساحة

اللازمة للنمو والتطور في حياة غير مستقرة. ومع ذلك، يجد الكثير من الأطفال أنفسهم تحت ضغط الرغبة المستمرة للآباء في السيطرة على حياتهم. يمكن أن يؤدي هذا الضغط إلى عدم الثقة بالنفس والاعتماد الزائد على الآخرين في اتخاذ القرارات الصغيرة والكبيرة.

ويمكن للآباء تعزيز ثقة أطفالهم بأنفسهم وتشجيعهم على الاستقلالية عن طريق منحهم المسؤولية عن بعض الأمور والقرارات في حياتهم. فكلما حاول الآباء التحكم في حياة أبنائهم، كلما زاد الاعتماد على الآخرين وتقلصت الثقة بالنفس، ويمكن أن يؤثر ذلك سلباً على سلوك الأولاد عندما يصبحون بالغين في المستقبل؛ لذا، يجب على الآباء توفير الدعم اللازم لأبنائهم وتحفيزهم على اتخاذ القرارات المستقلة والتفكير بأنفسهم.

في المقابل توفر الاستقلالية لدى الأولاد المساحة التي تسمح لهم بتنمية قدرتهم على حل نزاعاتهم وتحسين علاقاتهم الشخصية، والزيادة في قدرتهم على التخلص من ضغوط أصدقائهم لاتباع سلوك معين، وتجربة أشياء قد تكون مؤذية. فيصبح الابن قادراً على تكوين آراءه، واختيار مواقفه بناءً على قناعاته الشخصية.

وفي حين قد يكون أحد الأدوار المتوقعة للآباء هو تعزيز الثقة بالذات عند أولاده، من خلال التعامل معهم باحترام من حيث اختيار الطريقة المناسبة في الكلام والتحفيز. ولإظهار التقدير وبناء أشخاص واثقين من أنفسهم، لكي يصبح شخصية قيادية فاعلة في المجتمع تفكر فيما ينفعها بسلوك متزن، فلابد من التعامل معه بالاحترام والتحفيز والشكر وإعطائه فرصة كاملة، للتعبير عن نفسه ورأيه ومشاعره. كذلك يُطلَب منه المشاركة في حل بعض المشاكل كي يشعر بكيانه الشخصي، إلى جانب وضوح الأنظمة والقوانين داخل المنزل بعيداً عن الدلال والحماية المبالغ فيها ، أو الخوف عليهم؛ لأنه يؤذيهم، فإنه علينا ترك الحماية المفرطة لهم؛ لأنها تحول بينهم وبين اكتساب الخبرة، فيجب توجيه وعيه بشكل مستمر على الإيجابيات التي يمتلكها، ليحب ويقدر ذاته كي يحميها من الوقوع في الخطأ، ولا غيض أن تأنيب الضمير، وجلد الذات من أقوى أسباب الوقوع في الخطأ.

وإن لم ينجح الآباء في مقاومة المؤثرات السلبية في الواقع على جهدهم التربوي، فإن الفجوة بينهم وبين أبنائهم قد تتفاقم، وفي حين ينتظرون من أبنائهم القيام بدور يتخيلونه هم، سيجدون من أبنائهم ردود فعل واختيارات مختلفة تماماً، وهنا يكون السؤال لما لا يقوم الأبناء بأدوارهم المتخيلة عند الآباء؟

الدور المتوقع والدور الفعلي للابن

(مضيفة للعلماء أم دكان بقالة)

تستيقظ «جليلة» (عبلة كامل) على صوت هدم مستمر من رؤياها إلى يقظتها في منزلها، تنزل سلالمه مسرعةً مفزوعةً، ولسانها يلهج بذكر «يا خفي الألطاف نجنا مما نخاف»، تخرج من باب بيتها لتجد ابنها «بليغ» (أحمد رزق) يهدم جدار مضيفة أبيه الشيخ معاوية - التي كان يستقبل فيها مشيخ الأزهر وطلبة العلم-. يهدم «بليغ» الجدار ليفتح باباً على الشارع، يبيع ويشتري منه بعد أن يحول المضيفة إلى دكان.

تعلي صوتها بصريخ الصدمة مما تراه، وتنظر من الهوة التي صنعها الهادمون في الجدار، وكأنها تنظر لمعنى قديم يسكن الغرفة مع ذكريات العلم والعلماء والطلاب فيها، ويتحول الصراخ إلى استغاثة بالمارة وبأزواج بناتها، وتنعت ابنها بـ (الصايع).

وهو وصف استنكاري لاختياراته الحياتية منذ رفضه استكمال تعليمه الأزهري، ونكوصه عن اتباع درب أبيه. حيث ترك العلم وكتاب الله ليشتغل بالتجارة، الذي تراها هي أقل شأناً وأهون أمراً.

وأمام موقفها الاستنكاري غير المحبذ لهذا التحول من العلم إلى التجارة لدى ابنها وفي بيتها، يقف زوج ابنها «عمرو» (ابراهيم يسري) يقنعها أن التجارة سعيٌ حلال، لا تتعارض مع عبادة الله، وإن كانت مضيفة الشيخ (معاوية) سيتغير حالها، فلن يكون إلا في البيع الحلال.



يضعنا هذا المشهد من مسلسل (حديث الصباح والمساء) - المأخوذ عن رواية (نجيب محفوظ) التي تحمل نفس الاسم - أمام حقيقة التغيير واختلاف الخيارات بين الأجيال المتعاقبة، فالحركة كخصيصة من خصائص الحياة حين تتلاقى مع اختلاف الأبناء عن الآباء، تنتج حينها قرارات مختلفة وصور مغايرة لطبيعة السعي، وصورة المعيشة، ونوع الأفكار التي يعتنقونها. والتغير مهما كان دراماتيكيا فليس سيئاً بالضرورة، لكنها حركة خاضعة لعوامل وظروف مستجدة مع الزمن، تصنع أحياناً فجوة إدراكية وثقافية بين الأجيال.

على الرغم من وجود اختلافات دائماً بين الأجيال، فإن الاختلافات الجذرية لم تكن واضحة حتى القرن العشرين. فقبل ذلك كان المجتمع أقل حركة وأبطأ تغيراً. كان الشباب يعيشون عادة بالقرب من عائلاتهم الممتدة، ويعملون غالباً في مهن آبائهم سواءً في الزراعة أو التجارة أو أي من المهن اليدوية.

مع انفتاح المجتمعات، وتطور التكنولوجيا تعرض الشباب لتأثيرات ثقافية غريبة عن عائلاتهم وثقافاتهم الأصلية، وقلت أهمية مهن كثيرة من تلك التي مارسها الآباء، واضطر الأبناء مع الوقت للبحث بعيداً عن فرص أفضل للحياة. لكن هذا السعي الإجباري على الأبناء أحياناً ما يكون غير مفهوم ولا محبذ لدى الآباء، وأحياناً يكون في صورة تمرد وسوء سلوك من ناحية الأبناء، فلماذا يحدث ذلك؟

«تصور ماما لسه بتندهلي يا لولو، كل دا ولولو!»

كانت هذه الجملة الاعتراضية التي رد بها صديق «مدحت» (هشام سليم) عليه في فيلم (إمبراطورية ميم) حين كانا يتحدثان مستنكرين معاملة أهلهم لهم على أنهم أطفال، هذا الاستنكار من الأبناء ليس إلا بسبب الفجوة التي حدثت في المجتمع بين البلوغ الفيزيولوجي والبلوغ الاجتماعي، فأصبح الشباب حتى سن الثمانية عشرة يصنفون كأطفال، وامتدت سنوات التعليم المدرسي لاثني عشر عاماً لا يقوم الطالب فيها إلا بأنشطة محددة لا تتعلق إلا بالدراسة، وتبقى طاقته النفسية والعقلية معطلة لسنوات طوال، مما يؤدي لحدوث صراع بين المراهق وبيئته الاجتماعية. فالمجتمع لا يفسح المجال للمراهق أن يحصل على أدوار ومراكز للبالغين، ويعتبر الأهل المراهقين كباراً، ومع ذلك لا يسمحون لهم بالتصرف مثل الكبار، ومن وجهة أخرى لا يعتبرونهم كباراً وبالتالي لا يحصلون على حقوق الكبار.

فالمراهق إنسان هامشي مازال متعلقاً بوالديه، ويقارن نفسه بالبالغين، ويشعر بداخله أن رأيه وعقله لا يقل عن آرائهم، لذلك يعاني من عدم استقرار وعدم ثقة بالنفس، فلا هو صغير كطفل ولا هو بالغ كأبويه، وبسبب الغموض في التعامل معه حيث يتوقع أهله منه القيام بالكثير من المسؤوليات الاجتماعية في حين يعاملونه كطفل في مساحة الاستقلال. (عصمت تحسين عبد الكريم، المرجع السابق، 128).

وتطول فترة المراهقة في المجتمعات حالياً، ففي حين كان الشاب يأخذ دوره في المجتمع كشخص بالغ في فترة قريبة من بلوغه الجسدي، ويصبح صاحب عمل واستقلال مادي ونفسي، ويتزوج ويكون أسرة في سن مقارب. تنقلب الآية حالياً وتفسح العطالة للمراهقين مساحة لتطوير ثقافة معارضة للخروج عن هيمنة الكبار، والتأكيد على مخالفتهم في كل صغيرة وكبيرة، بسبب عدم استقرارهم النفسي، وتصبح سلوكياتهم غير مفهومة لآبائهم وخارج كل التوقعات.

هذا بالإضافة إلا أن مدخلات الثقافة المتداولة في جيل الأبناء تختلف، والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يعيشونها تتباين أحياناً مع الظروف التي نشأ في ظلها جيل الآباء، وحتى اللغة التي يتحدثها الأبناء، والموسيقى التي يسمعونها. كل هذه الاختلافات تصنع فروقاً كبيرة في التوجهات والاختيارات

والقرارات التي ينتهجها الأبناء.

ففي أغنية (واحد وعشرين) التي يغنيها مطرب الـ (تراب) الشاب (ويجز)، نجد تلخيصاً لما يمكن أن نعتبره التغير في التصورات الذهنية لجيل z(2) - كما أصبح يسمى - عمن سبقه من الأجيال. يقول: «مافيش وقت ولو همشي لابس خمس ساعات». ففي عصر السرعة الذي نقضي حياتنا فيه ركضاً، ونتجاوز التجارب والأحداث بسطحية دون أن نعيشها، أصبح الكبار في نظر الأصغر بطيئين غير قابلين للتطور الذي يعيشونه هم.

ويصف بكلمات شعور الغربة عن المحيط الذي يعيشه هذا الجيل فيقول «مش كتير هيساعدوك طول الطريق، أي حاجة ببلاش (صعب/صاحبي) ناخد منها كتير». وتعكس هذه الكلمات الضعف أو السوء في التواصل بين الآباء وأبنائهم مما يخلق شعوراً بالغربة، وعدم الثقة لدى الجيل الأصغر، الذي لا يراه الجيل الأكبر إلا تمرداً عليه.أما لسانه الذي يصفه بحدة السكين الذي يستخدمه بثقة شخص في الستين رغم كونه مازال ابن 21 سنة، فيعكس الصراع اللغوي الذي يخوضه الجيلين، بين اتهامات بعدم الفهم أو الأنانية. وهو كما باقي جيله على تويتر «بيقول المفيد» في ذاك المربع الذي لا يتحمل أكثر من 140 حرفاً، فلا حاجة للشرح ولا وقت له، وعلى الأخرين أن يبذلوا هم الجهد في الفهم.

«متأمنيش إنك هتسيبيني في حالة وترجعيلي في نفس الحالة حالا أنا بغير العالم».

أما ما يشغله ليس النجاح المهني والاستقرار الأسري كما جيل الآباء، فطموحه كبير لا يتوقف إلا عند تغيير العالم ليصبح مناسباً له هو. تؤكد كلمات (ويجز) أن هناك اختلافات كبيرة بين الشباب الصغير والكبار في أفكارهم ومشاعرهم ومواقفهم تجاه الآخرين. فكيف يمكن للأهل أن يتعاملوا مع هذه الاختلافات والخلل في توقعاتهم من أبنائهم؟

ربما يكون التغيير جزءاً أساسياً من الحياة، ولكن في الوقت نفسه، تبقى القيم والمبادئ الأساسية ثابتة ومهمة لتوجيهنا وتحديد مسار حياتنا. ومن المهم جداً أن

يتحلى الآباء بالاهتمام بتعليم أبنائهم الأسس الأخلاقية والقيم الإنسانية الأساسية، والتي تساعد على تطوير شخصيتهم وتحقيق أهدافهم في الحياة. وهنا قد تكون مساعدة الآباء لأبنائهم على رسم أفكارهم وتوضيحها حول الأسئلة الوجودية مثل: من أين أتينا؟ وأين سنذهب؟ وكيف أحدد الصواب والخطأ؟ وكيف نكون خيرين؟ وما هي مواهبي الأساسية وكيف يمكنني تطويرها لتحسين حياتي؟ ومن خلال المساعدة في رسم أفكارهم حول هذه الأسئلة الوجودية، يمكن للآباء مساعدة أبنائهم على فهم العالم من حولهم بشكل أفضل، وتحديد مسار حياتهم واكتشاف مواهبهم وقدراتهم. ويساعد هذا النوع من التوجيه والدعم على تحقيق التوازن بين النمو الشخصي والاستخدام الذكي للتكنولوجيا والتغييرات الحياتية.

كما يمكن للآباء مساعدة أبنائهم على إيجاد المعنى والهدف للحياة من خلال تعليمهم محاولة العيش بنزاهة ورحمة وإتقان العمل، وتحمل المسئولية تجاه أفراد عائلتنا ومجتمعاتنا، والتحلي بالصدق والعدالة والطيبة في تعاملاتنا مع الآخرين، والسعي لتطوير أنفسنا بلا ضغوط وتوقعات كبيرة.

هذه المحاولة لبناء علاقة خارج مساحة التوقعات الكبيرة والواقع الذي قد يكون مخيباً لكل من الآباء والأبناء، وبعيداً عن التغيرات والتطورات التي نعجز عن التحكم فيها، وبطريقة تتيح للجيل الأصغر امتلاك رؤية متوازنة عن الحياة وتجمعه مع غيره من الأجيال، ألن تكون هذه المحاولة مفيدة لكل الأطراف؟

ثانياً - الصور الذهنية والتصورات الذهنية:

في طفولتنا ومع بداية المرحلة الدراسية كان أول سؤال نتلقاه من المعلمين وبعض الأقارب بل والأبوين أيضاً: ماذا تريد أن تصبح حين تكبر؟ حينها كان هذا التساؤل مجرد سؤال تقليدي اعتاد الكبار أن يطرحوه على كل الأطفال الذين يتعاملون معهم. لكننا لو تعمقنا في هذا السؤال لوجدنا أن له بُعداً إيجابياً، فكينونة الفرد هي ما يتصوره بذهنه عن نفسه. هذه التصورات هي التي ستحدد أسلوب تفكير المرء طيلة حياته، فالتصورات الذهنية هي البوابة التي يصل من خلالها المرء إلى تحقيق كل ما يرغب فيه.



بالتالي فنحن نتاج ما نتخيله؛ إذ أن الصورة المرسومة في أذهاننا عن أنفسنا وعن دورنا وأدوار الآخرين في الحياة، تعكس بشكل كبير واقع الحياة الفعلي وكيف ستكون في المستقبل.

ولكن هل يحدث ذلك داخل جدران أدمغتنا فحسب؟

عندما نواجه قراراً محيراً ينبغي علينا اتخاذه، نفكر بتعمق وحرص شديدين، فالتفكير هو دليل الإنسان وبدونه يكون مثله مثل الكائنات الحية الأخرى، وليس الإنسان بمسماه «العاقل».

يمارس جميع البشر، بمختلف أشكالهم وأعمارهم، التفكير على نحو ما، ولكن هل نتفق جميعاً في طريقة التفكير التي نفكر بها؟ أو هل نستخدم نفس آليات التفكير؟ بالتأكيد فإن الإجابة بديهية وهي «لا». حيث تتنوع طرق التفكير، وأساليب التعبير، والشخصيات التي نقابلها، وكذلك فآليات التفكير تميز بين البشر وبين أعمارهم العقلية.

إن أفردنا حديثنا عن أساليب التفكير بشكل خاص لاتضح لنا جيداً أنها من أهم مصادر الفروق الفردية التي ذكرناها سابقاً وأن أساليب التفكير هي التي تلعب الدور الأساسي في الأداء الأكاديمي مثلاً وفي تكوين العلاقات الاجتماعية وفي القدرة على سرعة البديهة وكذلك اللباقة وحسن التصرف. لكن تختلف تلك الفوارق بين

البشر جميعاً فمن يبدع في اثنتين قد يخفق في ثلاثة. تتمثل تلك الفروق الفردية أيضاً في تفضيلاتنا الحياتية، فمن يفضل أسلوبه المبتكر في الحديث مع الناس يجد إلى جواره صديقه الذي يفضل الصمت والإنصات التام وفهم الناس فهماً عميقاً. بهذا تساعدنا أساليب التفكير على فهم أسباب نجاح بعض الأفراد في التعبير عن أنفسهم أو براعتهم في عملهم وآخرين لا، فإن أسلوب الفرد في الحياة واختياراته يتحدد كثيراً بأسلوب تفكيره.

قد يتسبب اختلاف أسلوب التفكير بين الشخصين اختلافاً كبيراً وعميقاً في أن يكون هناك حائلاً قوياً في التواصل بينهما. ونحن إلى الآن نتكلم بصفة عمومية عن أي شخصين، فما بالك أيها القارئ العزيز إذا أضفنا متغيراً بسيطاً للمعادلة وهو حاجة الابن إلى الاستقلال الذاتي عن الأب. لو فرضنا جدلاً أننا متشابهون ومتسقون في أساليب التفكير، فحاجة الابن إلى الاستقلال الذاتي ستجعله يفكر بأسلوب مختلف، ويمارس أدواراً جديدة بغية تكوين هويته المستقلة، وإن فرضنا تشابه أساليب التفكير - وهو أمر نادر الحدوث - فمن الممكن في هذه الحالة أن تبقى لدى الابن نفس حاجته إلى الاستقلال الذاتي رغم كل شيء.

إذا أردنا أن نستعرض مثالاً لتصور واحد من تصورات كثيرة حللت أساليب التفكير وقسمتها تقاسيم عديدة، فلنعرض تصور عالم النفس الكندي (آلان بايفيو - Allan Paivio) 1972، حيث صنف أساليب التفكير إلى أسلوبين، هما: الأسلوب اللفظي (verbal)، والأسلوب التصوري (imagery)، فلو افترضنا جدلاً التغير البنيوي الذي حدث في أساليب تفكيرنا بفعل قوة العالم الافتراضي والإنترنت الذي أقحم الصورة في حياتنا بشكل واضح وعميق وجعلها أكثر أهمية من النص، فإن مشاهدة تأثير هذا الأمر ستظهر بوضوح في جيل الأبناء بالطبع لا في جيل الآباء. فالأسلوب اللفظي في التفكير هو أسلوب تفصيلي يدرك المعنى العام ويحلله إلى معانٍ تفصيلية، ومن ثم يُفهم جميع أوجه الحديث، وما يقصده المتكلم بضورة صريحة، وما يقصده في الخفاء، ونتعامل مع الحديث على هذا الأساس.



يركز هذا الأسلوب على طبيعة الألفاظ والمصطلحات ويدركها بأوجه عديدة ويتساءل حولها إما بطريقة ثقافية أو شعبية، حيث لن تهم الطريقة نفسها ولكن ما يهم هنا هو الوصول لمعنى ما يقوله المتكلم بصورة ظاهرية، والمعنى المتواري من حديثه والاستعداد للرد بنفس الطريقة. أما الأسلوب التصوري يُدرَك بصورة مختلفة تماماً، والصورة لا تعني فقط الفوتوغرافية، بل إن للصورة أشكالاً عديدة قديمة والتي تنوعت حديثاً وأخذت أشكالاً أكثر.

كانت الصورة قديماً تعني النحت والآثار وكافة أشكال الأيقونات المختلفة، ومع التطور الذي تسبب فيه «الموبايل» الممتلئ بالصور، فالصورة هنا لا تعني الفوتوغرافية فقط، بل تعني إدراك الأخر من خلال: تعبيرات وجهه وهو يتحدث، ومظهره العام، وسمات وجهه، وصورته على الـ «فيس بوك»، أماكن سفره على الـ «إنستجرام»، أغانيه المعبرة عنه على أي تطبيق، وبالتالي فالأسلوب التصوري هنا لا يعني فقط الإدراك من خلال الصورة، بل إن الكلام نفسه له صورة ندرك من خلالها المتحدث، فالأغنية هي رمز وصورة لحالة معينة نتفهمها عن الأخر، بطبيعة الحال لا يعني هذا بالضرورة أن كل كلمة في الأغنية تعبر عن الشخص الذي يستمع لها، فهذا أسلوب لفظي في التفكير لا يتفق مع أسلوبنا التصوري الحالي.

بهذا يتضح لنا فارق هام في أسلوب التفكير بين جيل يسيطر عليه أسلوب لفظي، وجيل أخر يعبر عن نفسه بقوة الصورة وفهمه المتعمق للتعبير، فيكون التواصل

بينهما تواصل أسلوبين في التفكير مختلفين عن بعضهما البعض، ولا يعني هذا بالضرورة أن أحدهما صحيح والثاني مخطئ، بل إن الاثنين يعبران عن شيئين مختلفين ويشرحانه شرحاً عميقاً دون أن يعي كل واحد منهما أسلوب تفكير الأخر، ويحاول أن يتجرد من أسلوبه ويراقب الأخر في بناء أفكاره بطريقته ويتعلمها، كي يصل لطريقة تواصل مناسبة. هكذا تتعمق الفجوة أكثر بين الطرفين، كأن أحدهما يشرح عمق البحر وتفصيلاته الإبداعية، والآخر يسمعه ويرد عليه بمقاسات طول النخل وعلاقته بغزارة إنتاج التمر.

إذا نظرنا من زاوية أخرى، فسنرى أن الصورة الذهنية هي أشبه ما تكون بتجربة تشبه إلى حد كبير تجربة «إدراك» شيء ما أو حدث أو مشهد ما، ولكنها تحدث عندما لا يكون الشيء أو الحدث أو المشهد ذو الصلة موجوداً فعلياً للحواس. (Mckellar, 1957-Richardson, 1969- Finke, 1989- Thomas, 2003).

يمكننا القول بأن النظر إلى الحياة وقضاياها يتغير بشكل مستمر، ولا يمكن أن ينحصر في منظور واحد فقط. فالمنظور يتأثر بالعوامل المختلفة، مثل الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي يواجها الفرد، وكذلك الخبرات الشخصية والتحديات التي يواجها في حياته.

وبالتالي، فإن المنظور الذي نراه الآن ليس بالضرورة هو نفس المنظور الذي كان لدينا قبل فترة زمنية معينة، وقد تتغير عدسة نظرتنا للأحداث والقضايا بناءً على التحديات والأزمات التي نمر بها.

فعلى سبيل المثال، قد يتغير المنظور الذي يراه الفرد لأزمة «كورونا» بناءً على التطورات العلمية والصحية والاجتماعية التي تحدث في هذا الشأن، وكذلك يمكن أن يتغير المنظور على القضايا الشخصية بناءً على الخبرات الجديدة التي يكتسبها الفرد مع مرور الوقت.

ولذلك، فإن النظر إلى الحياة وقضاياها يتطلب التفكير بشكل مستمر وتعديل المنظورات والعدسات التي نستخدمها لرؤية الأحداث، وذلك للتأقلم مع التحديات الجديدة التي تواجهنا في حياتنا.

من أهم الأشياء التي قد يقوم بها إنسان تجاه نفسه والآخرين في نفس الوقت هي تغيير منظوره للحياة؛ حيث إنه يسعى لتحقيق سعادته عن طريق محاولة التخلص من نقيصة في شخصيته، وحين ينجح في ذلك ينظر له الناس بأنه أكثر رزانة وعقلانية، وبالتالي يتحول الأمر لديه إلى تعايش أكثر منه مجرد سعي نحو الكمال، وبهذا تستمر حياته على نسق من الهدوء والتعايش أكثر مما كانت عليه من قبل، وهذا هو جوهر الأمر وحقيقته. كلنا ننشد السعادة ولكن المصباح الذي يقودنها في الظلمة نحو تحقيقها قد تصيبه بعض الأعطال، لكننا لن نكسر المصباح نتيجة لتلك الأعطال، بل إننا نصلحه ونكمل المسير، وربما في أوقات كثيرة نغير مسارنا بأكمله.

والسؤال للقارئ العزيز، هل ترى أن اختلاف أساليب التفكير هي المشكلة الأهم للفجوة الثقافية بين الآباء والأبناء؟

لنفترض أن الأب والابن متفقان بالفعل حول الأسلوب التصوري في التفكير وأن هذا الأسلوب العقلي لم يصنفه العالِم الذي اخترعه على أنه للصغار والكبار بل إن المعدل العمري ليس مهماً في تجربته، فالسؤال الذي علينا طرحه الآن هو: إذا اتفق الجيلان حول الأسلوب التصوري في التفكير، فما الذي يجعل الفجوة قائمة بينهما؟

الإجابة هنا سهلة وواضحة، فالفارق لازال شاسعاً في الصورة نفسها فإن اتفقا حول الأسلوب فهل يتفقا حول إدراك نفس الصورة؟

إذا بحثنا معاً عن معنى كلمة «الصورة» عند جيل «واي- (3)«Y وجيل «زد - Z» فأول ما يطرأ على بالهم سيكون اصطلاحات أخرى للصورة أوضح من مصطلح الصورة فمثلاً (السيلفي) و(الكروب) واسم وضع التصوير واسم طبيعة الضحكة داخل الصورة وهكذا ... بهذا نحتاج إلى تفصيل عن مفهوم الصورة عند جيل الأبناء وما تمثله وكذلك مفهوم الصورة عند جيل الآباء وما تمثله.

من أجل البحث حول جيل الأبناء فعلينا بالنظر داخل «الموبايل» وليس خارجه، ففيه (تختلف الصور الذاتية الـ «سيلفي» من حيث القدر الذي يود الأشخاص أن يكشفوه عن أنفسهم بصرياً، فقد تركز بعض اللقطات على أجزاء معينة من الجسم

لاستحضار ذكريات غير واعية عن أشياء جزئية: كالوجه والعينين أو اليدين وكذلك الأرجل والأقدام والشعر، وبزاوية التقاط أوسع يوسع الشخص زاوية النظر مظهراً جميع جسده، وأشياء في يديه وفي محيط تواجده، ولأن لغة الجسد لدى الشخص بالإضافة إلى ملابسه والأشياء المحيطة به وموقعه تكشف عن هويته، فإن ما يظهره الأشخاص أو يخفونه في صور الـ «سيلفي» يعكس الكثير عما يرغبون في إضافته إلى القصة التي تُروى عنهم. أما عند تحويل صورة جماعية إلى صورة ذاتية عن طريق اقتصاص شخص آخر من الصورة (Crop) يُظهر بشكل واضح كيف يحاول الشخص إقصاء أو انتزاع الشخص أو الأشخاص المستهدفين من داخل الصورة. «1». (John Suler,2015: 175).

نفهم من هذا أن تحميل الصور، ومشاركتها عبر منصات التواصل الاجتماعي ليست مجرد مشاركة عابرة مع الأصدقاء، بل إن الأمر يعبر عن هوية الشخص. كما أن كيفية تعديل الصورة تُظهر شكلاً أخراً لأسلوب تفكير صاحب الصورة، وذلك التعديل بالصورة يقوم بعملية التحليل اللازم بما يشعر به صاحب الصورة، وكذلك فإن تعابير وجهه إضافة الى تعديل الصورة يساعد في إيصال الرسالة المرغوب إيصالها دون لفظ وبرمز دقيق يفهمه أصدقاؤه.

أما على صعيد الألفاظ والرسائل التي تلازم الصورة أثناء تنزيلها «حين ينشر الأشخاص الصور الذاتية على مواقع التواصل الاجتماعي، فإنهم يعلقون على أشياء محددة تمس ذواتهم أو حياتهم، ويسعون إلى أن يعلق الآخرون، وأن يتفاعلوا مع هذه الأشياء أو الأحداث، سواء كانت تجربة ماضية أو حالية أو تحقيق انجاز، هكذا يعبرون عن مشاعرهم في هذه اللحظة، على أي حال غالباً لا يكونون واعين لكل شيء تكشفه الصور عن أنفسهم، وكلما فحصوا هذه الصور الـ «سيلفي»، وردود أفعال الأشخاص تجاهها كلما فهموا ما الذي تقوله هذه الصور عنهم، فقد يضعهم التقاط «سيلفي» ونشرها على مواقع التواصل الاجتماعي أمام وجهة نظر موضوعية أكثر عن هويتهم، ما قد يجبرهم على أخذ خطوة إلى الخلف والنظر إلى أنفسهم بطريقة أكثر انفصالاً كما لو كان الأمر يتم من خلال أعين الأصدقاء الآخرين.

ربما تكون تلك تجربة مفيدة لفهم الكيفية التي يراهم بها الآخرون، أو مثل الجسر بين إدراك الآخرين لهويتهم بالمقارنة مع مفهومهم الذاتي هم لتلك الهوية».

(john suler,2015 : 177)

على الكفة الأخرى عند جيل الآباء نتذكر سوياً الكاميرا العائلية التي كانت تلازمنا بالرحلات والمصايف لتوثق لحظاتنا المختلفة. كانت الصورة حينها توثيقاً لحالة من المشاعر والخروج عن المألوف في حياتنا اليومية، فقد كانت الكاميرا والصورة حينئذ هي الاستثناء لا الأصل كما هو الحال الآن مع «الموبايل» و«التابلت»، فقد كانت الصورة غائبة حيث تُصَور على فيلم للكاميرا ،ومن ثم يحمض ذلك الفيلم لتخرج لنا الصورة بعد انتهاء الحدث لا وقت حدوثه كما الآن.

بهذا يكون تعبير الصورة أو التفكير التصوري - كما ذكرنا سابقاً - إن وجد عند الأب فسيكون أكثر ميلاً للرمزية، فالصورة عند جيل الآباء تُعد تعبيراً رمزياً يعطي مفاهيم متعددة أما الصورة الحديثة التي تنتشر عند جيل الأبناء هي صورة معبرة عن الواقع لا عن الرمز فحسب. فالصورة على الجهاز اللوحي «التابلت» هي الحدث أو الواقعة التي تظل موجودة ومن خلالها يتم الحكم عن حاضر نحياه وسريعا نتعداه لصور أكثر وأكثر وتعبيرات تختلف هنا والآن، وبذلك يكون التفكير التصوري مختلفا تماما بين الأب والابن حتى وإن تشابها في النمط العام.

تختلف صورة الـ «سيلفي» قليلاً عن سابقاتها، لأنها تعبير شخصي وكأنه تعريف بالذات. فبمجرد مد الأشخاص أيديهم وتوجيه كاميراتهم إلى أنفسهم فقد عبروا عن ذواتهم دون أن يساعدهم مصور كما كان يحدث من قبل، وبحدوث تلك العملية عبَّر الإنسان عن نفسه ببعض تعابير الوجه، والحالة التي يريد أن يعرّف بها نفسه لأصدقائه وغير أصدقائه، ومن ثم تطور الـ «سيلفي» إلى دخول أخرين مع الشخص في نفس الصورة ووجود عصا تبعد الجهاز أكثر ويتسع «كادر» الصورة وكلما زادت المسافة اتسع الـ «كادر»، ودخل في تعريفاتنا بعلاقاتنا الاجتماعية آخرين نرضى عنهم ونصادقهم؛ لذا فالـ «سيلفي» لا يُلتقط مع أغراب عنا، بل نتعمد أن تكون هذه الوضعية من التصوير مع مقربين أو فنانين نتعلق بهم، أو غير ذلك مما يعبر عن شدة

الحميمية بين من في الكادر نسبة إلى صاحب الـ «سيلفي».

بهذا التطور نستنتج أن الإحساس بالجماعية قد اختفى من الصورة التذكارية، مروراً بتوثيق الحدث أو الواقعة اليومية وصولاً إلى الذكرى الجماعية التي نعبر بها عن أنفسنا للآخرين، ومن تعليقاتهم على ما نشرناه نفهم أنفسنا ومن الـ «سيلفي» نعبر عما نريد دون أن نتحدث أو ننطق بكلمة واحدة.

يرى الفيلسوف النمساوي (لودفيج فيتغنشتاين) «أن الصور بالنسبة إلى النفس العاقلة تحل محل الادراكات الحسية المباشرة، وحين تؤكد أو تنفي أنها حسنة أو سيئة فإنها تتحاشها أو تتابعها، لذلك فإن النفس لا تفكر أبداً من غير صورة ذهنية». (aristotle , 743)

إذن فالصورة واللغة وسائط رمزية معبرة عن التفكير والشخصية، وبالتالي فهي معضلات تحتاج لتفسيرها كي يظهر الفارق في التفكير بين الجيلين، فالصور الآن عند جيل الأبناء بشكلها الجديد يجب أن تُفهم كنوع من اللغة التي يتخذونها سبيلاً للتواصل مع بعضهم البعض ،وصورةً للتعبير الناقم أو المازح أو المتهكم. كما أنهم يستخدمون الصورة لإيصال الرسائل فيما بينهم، والأبعد من ذلك بالرسوم التعبيرية لأشخاص مشهورين ومقصوصة، للتعبير عن كلام كثير يصل بصورة واحدة مبينة للطرف الآخر ومفهومة بالنسبة له.

بالنسبة للعديد من الشباب والمراهقين، أصبح من المسلم به الآن إلى حد كبير أنه يجب على المرء أن يكون متصلاً ومتاحاً لأصدقائه في جميع الأوقات عبر الهاتف والرسائل الفورية وأشكال الاتصال الأخرى، فقد أصبحت الهواتف المحمولة أحد الملحقات في كل مكان، والتي يصفها العديد من الشباب بأنها امتداد لأنفسهم أثناء ترتيبهم لأنشطة حياتهم اليومية (إيتو وآخرون 2006 ؛ لينغ 2008)

يشك البعض في أن الحياة التكنولوجية للشباب قد تغيرت بصورة كبيرة في السنوات القليلة الماضية، وبرغم كل هذا التغيير، يبدو أن شيئاً واحداً على الأقل لم يتغير، وهو أن الشباب يختبرون التكنولوجيا في حياتهم بشكل مختلف تماماً عن تجربة والديهم، ويمكن أن يكون هذا مصدراً للتوتر في الحياة الأسرية (Cho &

Silverstone 1992، ؛ Livingstone) & Helsper 2007a ؛Hongsik 2005 .(2007

يتبنى الآباء استراتيجيات مختلفة للتعامل، ويتبنى أطفالهم بدورهم آراء مختلفة، ويطورون استراتيجياتهم الخاصة، لدمج الوسائط الرقمية في حياتهم. بينما سبب الاختلاف بين نظرة الوالدين والمراهقين للوسائط الرقمية يعود إلى حقيقة أن الآباء والشباب يمكنهم تفسير تعاملاتهم مع بعضهم البعض بطرق مختلفة تماماً، لأن لديهم مجموعات مختلفة من التوقعات (Larson & Richards 1994).

يفكر الآباء في صراعاتهم مع أبنائهم فيما يتعلق بالأعراف الأخلاقية والاجتماعية، بينما يفكر المراهقون في قضايا مختلفة تماماً مثل مسائل الاختيار الشخصي (Smetana 1988 ؛Collins 1990).

قد ينظر أحد الشباب إلى الرسائل النصية، وقد لا يكتفي بالنظر فقط، بل ربما يرد على الرسالة أثناء حديثه مع شخص أخر ويعتبره أمراً عادياً، بينما يرى الآباء هذا على أنه علامة على عدم الاحترام، لكن المراهق قد يعتقد أنه من باب قدرته على التركيز في عدة أمور في نفس الوقت الذي قد يُعد امتيازا شخصياً.

هنا يظهر لنا بوضوح أمر آخر وهو كيف ينظر كلٌ من المراهقين وآبائهم إلى وسائل التواصل الاجتماعي، هل يرونه من الكماليات أم ضرورة؟ وهنا يكمن الفرق في التناقض بين كلا المذهبين أو وجهتي النظر. وهو منشأ لكثير من الخلافات في التعامل والرؤية الذاتية والمجتمعية على حد سواء.

تتجلى الفجوة بشكل خاص في الإشارة إلى بيئة الإنترنت. حيث الآباء يميلون إلى التعبير عن مخاوفهم التي يعتقد أطفالهم المراهقون أنها لا تستحق كل هذا الاهتمام. علاوة على ذلك، يعانى المراهقون من الإحباط بسبب افتقار والديهم إلى الخبرة وأفعالهم اللاحقة، والتي يُفسَر بعضها على أنه انتهاك للخصوصية، والبعض الآخر على أنه عائق لأهدافهم الاجتماعية وحتى الأكاديمية. فبينما يستخدم الشباب استراتيجيات مختلفة لمعالجة مخاوف آبائهم ونقص الخبرة، يخفي البعض الأخر ممارساتهم الفعلية عن والديهم، ويحاول البعض تثقيف والديهم حول التواصل

الاجتماعي، وطرق التعامل معه، ويمكن أن تتضمن الاستراتيجيات الأبوية لتثقيف أنفسهم استراتيجية ثانوية، ولكنها مهمة بنفس القدر حيث يعتمدون على أشقائهم وأفراد الأسرة الممتدة وإشراف المراهقين وتعليمهم مع أشقائهم الأصغر سناً.

قد يظن بعض الآباء أن لديهم أحقية استخدام السلطة نظراً لكونهم يدفعون حق استخدام أبنائهم لهذه الوسائل التكنولوجية من هواتف وإنترنت وما إلى ذلك، بل وينظرون إليها على أنها تذكرة تسمح لهم بالحصول على السلطة على جميع الاستخدامات التكنولوجية. لكن يبدو أن هذه هي عملية العرض الافتراضي من جانب المراهقين. علاوة على ذلك، يبدو أن إقامة علاقة ثقة أمر مهم في كيفية استجابة بعض الشباب لآبائهم وصياغة طرقهم الخاصة فيما يتعلق باستخدام الوسائط الرقمية. (Lynn Schofield Calrk,2021).

تعد العوامل الأسرية والسلطوية عاملاً مهماً للغاية في تفريق أو توسيع الفجوة بين الآباء والأبناء عند استخدام وسائل التواصل الحديثة. فكلما كانت الأسرة أقل قدرةً اقتصادياً واجتماعياً، زاد التسلط الأبوي، مما يضع ضغطاً على الأبناء ويوسع هذه الفجوة، والتي يمكن أن تكون لها تأثير عميق في العلاقة بين الأبناء والآباء.

على الرغم من التصور الشائع بأن درجاتنا الدراسية تحدد هويتنا، فإن هذا المفهوم خاطئ، حيث ثبت أنه يسبب ضرراً لصحتنا العقلية. فالفكرة الكامنة وراءه تسبب توتراً وقلقاً واكتئاباً لدى الشباب في المدارس وغيرها، ومن الضروري فهم ذلك والاعتراف بأن هناك عوامل أخرى تحدد هويتنا وتعرفنا كأفراد.

فتمثل عقدة النجاح الأكاديمي أو النجاح في الحياة عموماً مشكلة لدى طلاب المراحل المختلفة (أكاديميا)، إذ يحصر الشباب رؤيتهم لذواتهم «في هذه الأحيان» بناءً على مدى تحقق نجاحهم الأكاديمي (والتي هي بالضرورة محط اهتمامهم الأول)، وذلك لما يعول عليه الأهل بشأنها ويولونه لها من اهتمام، بمحاولتهم قدر المستطاع إبعاد كل ما يؤثر على مستقبل أبنائهم التعليمي أو الأكاديمي. (Mental Health Foundation, 2021)

Pressure As A Young Person:

Am I Good Enough

هل أنا جيد كفاية؟ وما هو المقياس لذلك؟ كلها أسئلة مقترحة بين الشباب ومحل نظر، وذلك بسبب أن الـ «سوشيال ميديا» تفرض بعض المقاييس على مستخدميها، والتي يجب عليهم أن يحاولوا تحقيق درجة عالية وفقاً لها، حتى يشعروا بالرضا الذاتي عن أنفسهم، كونهم مشابهين للبيئة التي يحاولون الانتماء إليها، فهم يحققون ذواتهم بتقليدهم لأصدقائهم، ومن يُعجبهم على منصات التواصل الاجتماعي المختلفة فأصبح صنع المراهقين لمقاطع فيديو رقص أو مرح على (Tik Tok)، والتواصل من خلال (Snapchat) وتنمية حساباتهم على ((Instagram أمراً شائعاً في العصر الرقمي الحديث.



كما أن المنصات الاجتماعية أصبحت مألوفة أيضاً للأطفال الأصغر سناً، حيث أفاد الآباء في استطلاع أمريكي أن نصف الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 10 و12 عاماً، وثلث الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 7 و9 سنوات يستخدمون أجهزتهم للتفاعل مع الآخرين على تطبيقات وسائل التواصل الاجتماعي.

وبينما يتتبع معظم الآباء استخدام أطفالهم لوسائل التواصل الاجتماعي، فإن واحداً من كل ستة أشخاص لا يستخدم أي ضوابط أبوية للتطبيقات الاجتماعية لأطفالهم، وفقاً لاستطلاع مستشفى جامعة (ميتشيغان – C.S. Mott) لصحة للأطفال.

وقالت (سارة كلارك) المديرة المشاركة في (Mott Poll)(4): «لا يزال هناك جدل حول ما إن كان الوقت مناسباً أم مبكراً جداً فيما يتعلق بتحليل استخدام التطبيقات الاجتماعية، وكيف يجب على الآباء الإشراف عليها».

يقودنا هذا إلى قضية هامة للغاية، حيث إن هذا القدر الكبير من الأطفال والمراهقين يستخدمون وسائل التواصل في وقت مبكر للغاية، وبالتالي ينفتحون على كم هائل من المعلومات، ويطلقون الأحكام، ويتخذون مواقف بشأن القضايا المختلفة - التي من المفترض أن تشغل مَن هم أكبر منهم سناً - وهم في سن صغيرة، ويتبنون آراءً ونظريات وفقاً لهذه المعطيات المختلفة، وهذه المعطيات صحيحة كانت أم خاطئة تؤدي بصورة أو بأخرى إلى تسرع في إبداء وجهات النظر وتبني الآراء، والذي ينبني عليه مستقبلاً اتخاذٌ لهذه الآراء كمسلّم بها مما يجعل عملية تغييرها أصعب. في حين لم تكن هذه القدرة موجودة لذويهم الأكبر سناً حين كانوا في مثل أعمارهم، وبالتالي فمن المستغرب لديهم أن يتحدث الأصغر سناً عن القضايا التي تشغل الكبار والمجتمع من حولهم بلهجة لم تكن سائدة بينهم عندما كانوا هم في مثل هذه السن، وهو ما قد يساهم بدوره في توسيع تلك الفجوة الثقافية بشكل ملحوظ بين الجيلين.

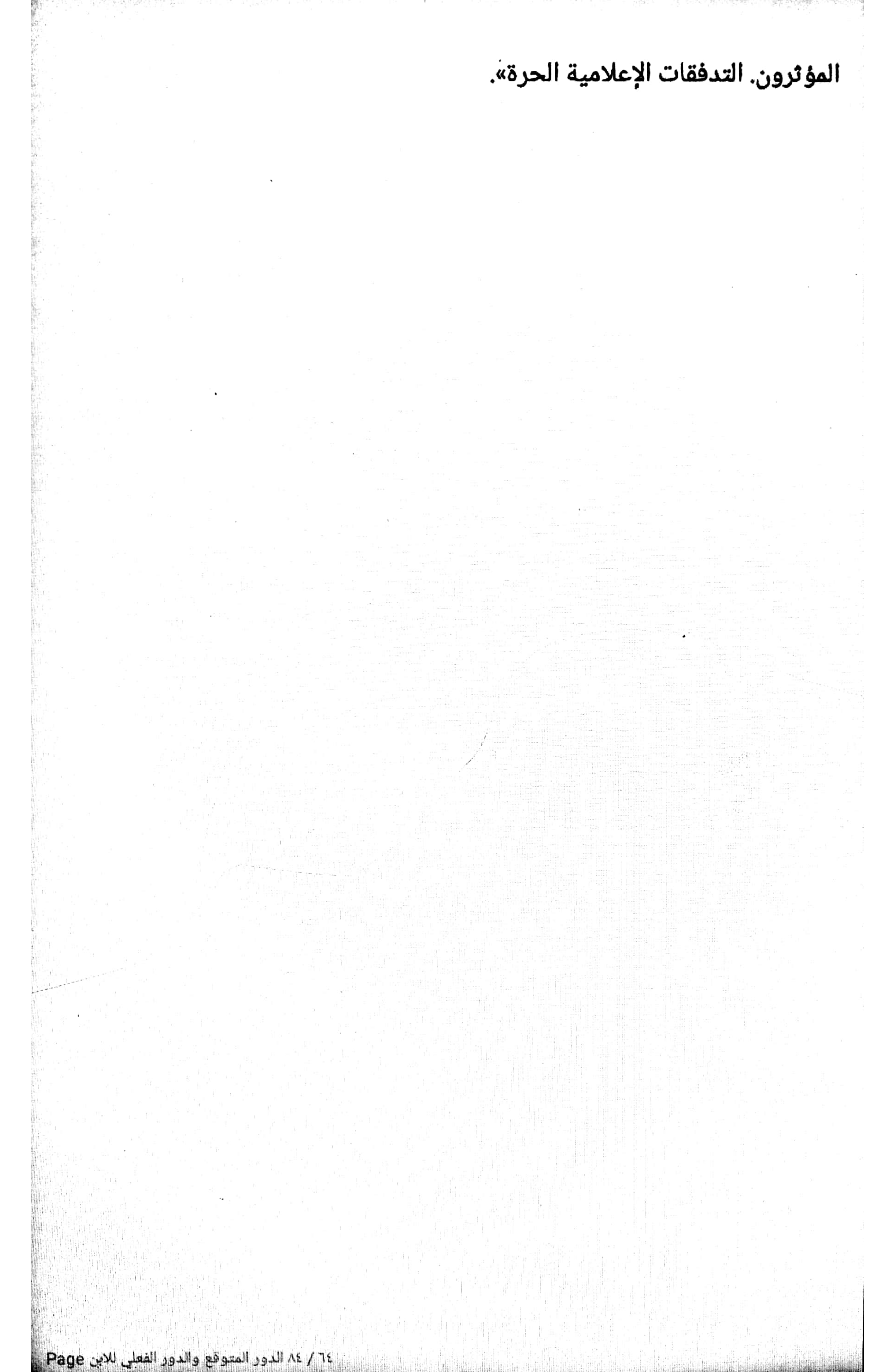
تشعر الأجيال الأحدث الآن بشيء من الرغبة في أن يعتذر لهم الأكبر سنا، ويتمثل ذلك في رغبتهم بأن يسمح لهم الجيل الأكبر في إشراكهم في الحياة كعملية، ومنحهم جزءاً ولو يسيراً من سلطة اتخاذ القرار والعمل به في الحياة اليومية، حتى يترك جيلهم أثره وبصمته بين كل الأجيال المتعاقبة.



والملاحظة التي ينبغي علينا الانتباه لها عند عقد المقارنة بين الجيل الحديث وما هو قادم، والأجيال السابقة وما قد مضى عموماً، من حيث وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة، ألا وهي مدى تأثرهم باستخدام هذه الوسائل والفرق في ذلك بين كل جيل وآخر، فنجد مثلاً مدى تأثر الشباب بما يرونه ويعاصرونه على تلك الوسائل أكثر جدية مما هو لدى الأكبر سناً.

كما نلحظ اتساع دائرة «المؤثرين» بين الشباب، بل إن بعضهم اليوم يتخذها كمهنة رسمية ومصدر دخل أساسي، كونه (Influencer)، أو أحد المدونين على شبكات التواصل، وهذا بلا شك يقرب مفهوم الافتراضي و»اللاواقعي» أو «اللاملموس» من فئة الشباب أكثر بكثير عمن سواهم، إذ حتى في أساليب كسب العيش يعتمدون على ذلك النمط من الحياة المتسم بـ»الافتراضية»، وكما أشار الدكتور (أحمد زايد) في مقاله إلى أنه يمكن فهم إسهامات المؤثرين وممارساتهم على أنها تدفقات تأتي من أسفل، من القاعدة العريضة للمجتمع، وهي تعبر عن مزاج حر ومستقل. ونستطيع أن نضيف إلى هذه الخصيصة الهامة خصائص أخرى لهذا النوع من التدفق الإعلامي، فهي تكشف عن الإبداع الذي يعاند ما هو مألوف، ويطمح في أن يلد جديداً وأن يضيف شيئاً مبتكراً. «المؤثرون...التدفقات الإعلامية الحرة، (أحمد زايد)».

وهذا ما يجعل الأمر أكثر وضوحاً بالنسبة لنا، كيف أن هذا الاتجاه صار قريباً من المستمعين والمشاهدين بشكل لا واعٍ ومقبول على نحو واسع. وبالتالي فكلما زاد إبداعك، كلما تحظى بتأييد ومتابعة أكثر، وزادت أرباحك تبعاً لذلك «(أحمد زايد)،



المؤثرون. التدفقات الإعلامية الحرة».

الحداثة وما بعدها من تأثيرات

أولا: التكوين الثقافي بين المكتمل ومرحلة التكوين:

عندما يتفق مجموعة من الأشخاص على فعل اجتماعي معين دون معرفة بعضهم البعض، يمكن أن نطلق عليه مصطلح «العقل الجمعي»، فذلك «العقل الجمعي» يجعلك ترى تصرف أبيك يشابه تصرف والد صديقك دون أن يعرف أحدهما الآخر، وإذا استطردنا قليلاً فسنرى المعنى الحقيقي لكلمة «الثقافة»، فـ «الثقافة» ليست كما يظن الكثير والتي تعني قراءتك لذلك الكتاب أو غيره من الكتب، وأن يكون عندك مثلاً مكتبة كبيرة. لا.. تلك صورة واحدة من صور الثقافة بل إن الثقافة هي كل ما يدور حولنا من أنماط حياتية نعتاد عليها، ونعرفها جميعاً، لأننا نعيش سوياً في هذه البقعة الأرضية.

إذا قمنا بتحليل هذا المثال، فإننا نجد أن العرب يتفقون في مضمون المقولة ومعناها، ولكن يختلفون في صياغتها حسب اللهجة المستخدمة، ففي مصر يقولون: «اعدل الشبشب المقلوب»، وفي السعودية يقولون: «ظبط مداس»، مما يعكس التنوع اللغوي الذي تتمتع به اللغة العربية، ويظهر أيضاً قدرتها على التكيف والتطور عبر الزمن. ومع ذلك، يوجد اتفاق واسع بين العرب بشأن هذه المقولة، ويمكن اعتبار هذا الاتفاق مثالاً على «العقل الجمعي» الذي يمكن أن ينشأ عندما يتحد الأفراد ويتعاونون معاً لتحقيق هدف مشترك.

إن الشاهد هنا الاتفاق حول مقولة ليس لها أي جذر ديني أو تاريخ شعبي معروف، بل تداولها الجميع وتوارثها. لا دولة واحدة، بل لسان عربي بمختلف لهجاته ولكناته.

وعند البحث والاستقصاء بالتاريخ الشعبي لهذه المقولة، نجد أنها لها أصل محمود، حيث كان العرب يقيمون في الماضي بمخيمات مؤقتة مصنوعة من القماش والخوص وجذوع الشجر، وكان من السهل أن تتسلل بعض الزواحف الضارة إلى هذه المخيمات. وعندما يترك الشخص حذائه أو شبشبه على غير ما يجب، يمكن للعقرب أو غيره من الزواحف الصغيرة أن يختبئ بداخله، وبالتالي يجب على الأفراد

تحذير بعضهم البعض بعدم ترك الأحذية على غير ما يجب. وتوارثت هذه المقولة عبر الأجيال واستمرت في استخدامها حتى اليوم، حيث أصبحت تعبر عن فكرة الحذر والتنبيه للأخطار المحتملة، وبالرغم من أنه قد توالت الأزمان وسكنا جميعاً ببيوت خرسانية تحمينا من ذلك، لكن بقيت المقولة بالذاكرة الشعبية تتوارثها أجيال وأجيال. إن هذا هو أوضح تعبير عن الثقافة، فتلك المقولة هي من صميم ثقافة العرب وهى وغيرها يعبرون عن عقل وعادات ومثل وحكم وغير ذلك.

نحن استخدمنا المثال السابق على أنه مثال عام يعكس ثقافة العرب بشكل عام. ولكن إذا ركزنا على ثقافة محددة في الوطن العربي، مثل الثقافة المصرية أو الحجازية أو الأندلسية، سنجد الكثير من الأشياء المتفق عليها بين أفراد هذه الثقافات المحددة، ولكن يمكن أن يختلف نطاق هذه الأشياء المتفق عليها حسب التفاعل والحوار بين هذه الثقافات. ومن المميزات الرئيسة للثقافة أنه لا يوجد حكم معياري عن صواب وخطأ فيها، بل يتم التحدث عن أصول الأشياء وتأثيرها وانتشارها وغيرها من المسائل التي تساعدنا على فهم أنفسنا والآخرين بشكل أفضل في الوقت نفسه.

تلك الثقافة بهذا المفهوم سابق الذكر يمكن أن تقودنا لفهم جديد حول ماهية الفجوة الثقافية بين الآباء والأبناء، فنتساءل حول الاثنين: مَن في الجيلين يظن ذاته كامل التكوين الثقافي؟ ومَن يظن نفسه أكثر قدرة على الفهم الواقعي للثقافة الدارجة، ولا ينكر أنه لا يزال في مرحلة التكوين، ولا يرى في ذلك أي عيب أو نقيصة، بل يعتبر كونه في طور التكوين ميزة له، لأن بإمكانه في هذه الحالة أن يختبر مقولات الكبار اختباراً واقعياً وعملياً؟ لكي نضبط حديثنا قليلا فسنقتبس التعريف الأشهر والأوسع صدى للثقافة وهو تعريف عالم الأنثروبولوجي البريطاني «إدوارد تايلور» لها ومن ثم نرى عما تعبر كل جزئية بذلك التعريف لدى كل جيل بمعزل عن الآخر.

يعرِّف (تايلور) الثقافة بأنها : «ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والأعراف والقدرات والعادات الأخرى، التي يكتسبها

الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع».

عندما يتحدث الناس عن الفجوة الثقافية بين الأجيال، ينتشر غالباً الافتراض بأن الأجيال الأصغر سلبية تجاه العادات والتقاليد وتفتقر إلى الاحترام اللازم للأجيال الأكبر، وهذا يعد تعميماً يفتقر للتدقيق والبحث المنهجي. إذا قمنا بالاستناد إلى هذه التعميمات، فإننا سننهي حديثنا قبل أن نبدأه، وسيكون الحديث عن الكبار الذين يسيطرون على الثقافة والصغار الذين يعترضون عليها.

ومع ذلك، فإن هذا الافتراض ليس صحيحاً على الإطلاق، فالكبار والصغار على حد سواء يمتلكون زمام الثقافة، ولكن بطرق مختلفة ومن منظور مختلف. فالأجيال الأكبر قد تحمل تقاليداً وقيماً تم توريثها لهم من الأجيال السابقة، بينما الأجيال الأصغر قد تمتلك زمام ثقافة أخرى تختلف عن الأولى بالكثير من الاختلافات والتشابهات الطفيفة. وبالتالي، يجب علينا الاهتمام بفهم التحولات الثقافية والتغيرات التي تحدث عبر الأجيال، بدلاً من تعميم الأفكار والتفكير بشكل سطحي.

فيما يتعلق بالجزء الأول من تعريف (تايلور) حول المعرفة، فإن ثقافة الآباء تميل إلى الاعتماد على المعرفة التجريبية والسمعية التي اكتسبوها من خلال تجاربهم وظروفهم الحياتية، بالإضافة إلى الأخبار التي اعتمدوا عليها من مصادر موثوق بها. وبالتالي، شكّلت هذه المعرفة أسلوب تفكيرهم وخواصهم العقلية.

أما في ثقافة الأبناء، فإن المعرفة تكون حية ومباشرة، إذ يشاهدون ويجربون الأمور بأنفسهم ويتعايشون معها واقعياً، ولا يستقبلون المعرفة من شخص أخر بالطريقة التقليدية، ولكن يتعلمونها من خلال التجربة الحسية المباشرة.

ومن هذا المنطلق، يمكن القول إن النصيحة غير المجربة قد لا تكون مقبولة بالنسبة للأبناء، وتثير التساؤلات والريبة لديهم، حيث يفضلون الاعتماد على المعرفة الحية والتجربة الشخصية لتحقيق الفهم والتطور. وهذا يؤدي إلى انفصال قناة النصيحة بين الأب والابن، حيث يمكن أن تكون النصيحة التي لم تُختبر محل تساؤل لدى الابن، وتثير لديه الريبة.

أما بالنسبة للجزء الثاني من تعريف (تايلور)، فإنه يوضح أن المعتقدات في مجتمعنا تتشابه بشكل كبير في مصدرها الأول، وهو الدين الفطري الذي يتوارث غالباً في الأسرة. ومع ذلك، فإن المعتقدات التي يمكن أن تثير الجدل بين الأب والابن في بعض الأحيان تتعلق بطبيعة التدين وتمثيلاته في الحياة اليومية. وهذا يؤدي إلى انفصال في فهمهما للمسائل الدينية، وقد يؤدي هذا الانفصال إلى انفصال أخر في العلاقة بين الأب والابن.

وفيما يتعلق بالجزء الثالث من تعريف (تايلور) حول الفن، فقد سبق وأشرنا إلى الفجوة اللغوية بين الآباء والأبناء في فهم الفن، حيث يمثل الفن مرآة للتعبير عن الهوية الفردية والثقافية. وبالنظر إلى تاريخ البشرية، يمكن القول أن الفنون والتحف هي التي تعبر عن الثقافة والتاريخ، وتترك بصماتها وراءها.

وإذا كنا نتحدث عن الصور الأكثر شعبية من الفنون في الوقت الحالي، فإن الأفلام والأغاني تعكس روح العصر والثقافة التي نعيشها، والمهم هو ما يبدعه الفنانون من صور ولوحات وكتابات وأغاني تعكس كيف نعيش هذا المشهد الرقمي الحديث، والتي تعبر عن تجارب الحياة والمشاعر بصورة فنية جميلة. وهو ما يمكن أن يساعد في تعزيز الفهم والتواصل بين الأجيال المختلفة، وسد الفجوات الثقافية واللغوية التي قد تنشأ بينهم.

وفيما يتعلق بالأخلاق، فإنها لا تختلف فقط في معناها بين الأجيال، بل يمكن أن يختلف معنى الفضيلة الأخلاقية وتطبيقها بين الأجيال. فعلى سبيل المثال، يمكن أن ينظر إلى الصدق في الوقت الحاضر كصفة تجلب الهزيمة وتعتبر علامة على السذاجة، بينما في السابق كان ينظر إليها كصفة جيدة ومنبثقة عن الأخلاق الحميدة.

وهذا الاختلاف الثقافي في الأخلاق يمكن أن يؤدي إلى اختلافات كبيرة في المتفقات الاجتماعية، التي تشكل الرباط الاجتماعي بين أفراد المجتمع، وتؤثر أيضاً على التواصل الفردي بين الأفراد في تفاعلاتهم اليومية. وبالتالي، يمكن أن يهدد هذا الاختلاف الثقافي بالتعايش السلمي والمشترك في المجتمع، ومن المهم بالتالي

التفكير بطرق لتعزيز فهم الأخلاق، وتحسين التواصل بين الأجيال المختلفة.

أما عن القدرات، فالقدرات المعرفية والبحثية والحسابية وما إلى ذلك هي التي تربعت على العرش الثقافي من قبل الغزو المادي للحضارات الأخرى، وبفعل ذلك أضحى التفاعل أكثر وأوضح حول القدرات الجسمانية والبدنية، فعلى سبيل المثال، تحظى القدرات الرياضية مثل: كرة القدم، وكمال الأجسام، والصالات الرياضية، بالإعجاب والانبهار الاجتماعي بين الأجيال الأصغر؛ حيث يرى الشباب الأثر الإيجابي لممارسة الرياضة على الجسم والصحة العامة، مما يؤثر بدوره على مكانتهم الاجتماعية بين أصدقائهم المختلفين.

وفيما يتعلق بالقانون، فلا يمكن تغييره بين الأجيال، وليس هو صورة من صور أثر الفجوة الثقافية. ومع ذلك، فإن التأثير بالقانون يشكل مجالاً يمكن أن يؤثر على التفاعل بين الأجيال فيما يتعلق بتطبيق الأحكام والصور القانونية.

أما عن الأعراف، فإن التأثير عليها لا ينبع فقط من الاختلاف الثقافي بين الأجيال، بل ينبع أيضاً من الاختلاف المعيشي بين المناطق الحضرية والريفية وما يتبع ذلك من اختلافات اجتماعية.

ومن المعروف أن الاختلافات الاجتماعية بين المناطق الحضرية والريفية تؤدي إلى اختلافات في الأعراف والتقاليد والعادات، وهذا يمكن أن يؤثر على التفاعل بين الأجيال فيما يتعلق بالأعراف. وعلى سبيل المثال، قد يختلف التفاعل بين الأجيال في المجتمعات الريفية بشأن الزواج أو الطقوس الدينية عن التفاعل في المجتمعات الحضرية.

وهكذا يتضح لك أيها القارئ العزيز كيف يمكن أن يؤدي الاختلاف الثقافي إلى تفاوت في كل جزئية بين الآباء وأولادهم فيما يتعلق بالثقافة، بغض النظر عن مصادر هذه الثقافة. ويمكن للأبناء أن يكونوا في مرحلة تكوين ثقافي ويفخرون بهذا التكوين، ويريدون الحفاظ عليه وتجريبه معاً كجيل يعبر عن هويته وذاته.

ثانيا : توصيفات لقراءات نظرية :

يسعى كل مَن له توجه ما بعد حداثي بشغف إلى أن يكون حراً، عفوياً، مستقلاً، ودون عوائق، وبإمكانه تحديد ذاته دون حواجز، وبمقاييس معينة، والمحرك الحاسم في تحقيق ذلك السعي هو الرغبة في تحديد الذات، انطلاقاً من الذات وإنتاج الواقع من هذه الذات، وهو واقع يخلقه المرء بنفسه تماماً كما هو الأمر بالنسبة للحقيقة التي تمثله، بإنتاج ذاته بذاته. (Rainer funk,2005 : 66)

يُفترض أن الأدوار النفسية الحديثة للأسرة في عصرنا الحالي تهدف إلى تصحيح حالة أفرادها، ولكنها غير قادرة على ذلك. وكما يشير عالم الاجتماع البولندي (باومان)، فإنه لا يوجد حلول محلية لمشاكل عالمية، وبالتالي، فإن الأسرة التي كان من المفترض أن تدعم أبناءها وتمنحهم القوة لمواجهة تحديات الحياة، فشلت في ذلك، وبدلاً من ذلك، تطالب أفرادها بتحديد هويتهم، وتعريفها في هذا العالم الذي يتغير بشكل سريع ومتزايد، والذي يمكن أن يسحق أي هوية تقليدية. وعلاوة على ذلك، فإن الابن يتحمل مسؤولية تشكيل هويته الخاصة وتمييزها عن شخصية والده، وهذا يمثل تحدياً أخر بالنسبة إلى الأسرة العربية الحديثة، التي تطالب أفرادها بالمستحيل في بعض الأحيان.

بهذا تظهر لنا بعض الآليات التي يمكننا استعارتها في نقاشنا هذا، ونرى هل هي ذات فاعلية حقيقية أم لا يتعدى الأمر مجرد نماذج فلسفية، وآليات سلوكية لا تقبل التحقق الواقعي؟

لنبدأ نقاشنا بإيجاد المعنى. فإذا فقد الإنسان ذاته وبحث داخله عن المعنى ولم يجده، فلن يتمكن من العثور عليه في الحياة اليومية أو على قارعة الطريق ويتشبث به، ويا ليت كان جيل الآباء مدركاً للمعنى، وموصلاً له لجيل الأبناء بآليات عدة، فإن نظرة العلاج بالمعنى تتلخص في أن الأفراد يسعون إلى هدف ويهدفون لاكتساب شعور خاص بعالمهم، فوعينا هو الذي يرتفع بنا فوق كل طارئ جديد لنختبره أولاً قبل أن يؤثر فينا، فنحن لسنا كائنات تدفع بالدرجة الأولى بواسطة غرائزها، أو تحدد أساساً بواسطة جيناتها، أو بسبب المفاهيم المعرفية التي تأسس عليها الفرد، وسلك بواسطتها في الحياة نتيجة تأثير الوالدين علينا. على الرغم من أن كل تلك

الجوانب الانسانية حاضرة دائما بكل تأكيد ويجب أن نأخذها بعين الاعتبار، إلا أن العلاج بالمعنى يركز على قدرة الأفراد على التغلب على هذه العوائق والبحث عن طرق أفضل للتعامل معها.يفترض العديد من المنظرين الإنسانيين أن الناس عموماً تحركهم بقوة رغبة عميقة في أن يعيشوا حياة جديرة بالاهتمام وهادفة، يضطلعون بها بحرية ويهدفون إلى عواقب مفيدة ومثمرة وفاعلة.

وحينما نقابل قوى المجتمع والطبيعة يساعدنا هذا على فهم شيء من التناقضات الواضحة والتوترات والمفارقات التي تبدو وكأنها تشكل جوهر الحياة، فرغبة الابن في الانفصال الهوياتي(5) والوجودي عن الأب يشاطره حباً عميقاً للأب ورغبة في تمجيده. كذلك فإن رغبة الأب في توجيه أفعال ومسارات الابن ينم عن رغبة وجودية في تخليد الذكرى بعد الممات، ويصاحب ذلك خوفاً عميقاً على مستقبل الابن ورغبةً في تأمينه. فكما يخبرنا (إريك فروم) «أن التملك فطرة بشرية، والتملك ليس بديلاً عن الكينونة ومتعارضاً معها، فنحن في حضارة هدفها الأساسي هو التملك ومزيداً من التملك، فكيف يمكن اعتبار التملك أو الكينونة، أحدهما بديلاً للآخر؟ على العكس ينبغي أن يبدو كأن التملك هو جوهر الكينونة». (ايريك فروم، ترجمة (سعد زهران)، 1989 : 35)

فالوجود الإنساني يتسم في الأساس بدينامية طبيعية، فهو مصير ومسار، فكلمة «يوجد» ذاتها مشتقة من الفعل اللاتيني (existere) والذي يعني: يبرز أو ينبثق، ويمكن بذلك فهم الوجود كانتفاضة أو اندفاع مفاجئ فهو مصير يفتعل الاندفاع صوب العالم؛ فجميعنا ننبثق من الأصل أي (الأب) وبعدها نستقل بوجودنا كأبناء كبار.

كلما أثرت التنشئة الاجتماعية السلطوية - سابقة الذكر الفصل السابق - على الأبناء، كلما افتقد الابن الأمن الوجودي (الأنطولوجي)(6)، وعندئذ يشعر بالانفصال عن ذاته، وبأنه مختلف بشكل غير ثابت عن بقية العالم. لذلك فإن هويته واستقلاليته يكونان دائما في موضع شك، فهو يفتقد إلى الخبرة الحياتية المتواصلة، كما أنه قد يفتقد الإحساس بالاتساق والتماسك الشخصي، وقد يشعر بأنه لا قيمة

له أكثر من شعوره بالقيمة النابع من الآخرين، والسبب في ذلك أن الأشخاص الذين يعانون من فقدان الأمن الوجودي لا يتقبلون هويتهم كأمر مسلم به؛ لذا فإنهم يخشون باستمرار من فناء ذواتهم، فيتمثل ذلك في ثلاثة أشكال:

الأول: الخوف من الذوبان (engulfment) وهو أن استقلاليتهم سُلبتهم وتُصنف وفقا لإرادة الآخرين.

الثاني: الفزع من الانهيار الداخلي (implosion) ويشبه الفراغ الذي يملأه الغاز من الداخل بمساحة فارغة، فهو لا يريد أن يُظهر فراغه الداخلي للآخرين، حتى لا ينهار من داخله أمام عينه هو لنفسه.

الثالث: الخوف من التحجير وتبدد واختلال الأنية (lookert) وهو تجريد الإنسان من صفاته وما يحب وما يكره ويحدث بذلك التحول إلى شيء غير حي من قبل الآخرين (كالماء الذي ينساب نشعر به ولا نراه).

وهنا يوجد نقطة هامة نريد التنويه عليها، وهي أن فقدان الأمن الأنطولوجي الذي ذكرناه سابقاً في صوره الثلاثة لا يتعارض مع تجربة الفرد لحالات القلق الاجتماعي والنظرة اليائسة نحو الأشياء. بل إن المفكرين الوجوديين يرون أن الاكتئاب والقلق يمكن أن تكون خبرة ضرورية في عملية الاكتمال ككائن يعتمد على حدسه في حياته، ويتمكن من تحديد هويته وتمييزها عن الآخرين. ولذلك، فإن الدعم والتوجيه المناسبين من الآباء لأبنائهم في هذه المرحلة المهمة من الحياة (أي آخر مرحلة من المراهقة وبداية الشباب) يتمثل في دعمهم وتشجيعهم، وتوفير الظروف المناسبة للتعامل مع هذه التجارب والمشاعر بصورة إيجابية وصحية.

بذلك تكون عملية بعث المعنى من جيل الآباء إلى جيل الأبناء تساعدهم في التغلب على قوى الطبيعة المتمثلة في التواصل الافتراضي وبها يتفتح ذهن الابن تجاه رؤيته الوجودية فيعرف كيف يرى ذاته، وبما أن الذات ما هي إلا الأخرين أي أن الذات تتحدد بالأخر وبما استطاعت أن تشعر به من هذا الأخر، فالذات تتحصل على هويتها من خلال علاقتها بالموضوع أو بالأخر، الذي يصبح جزءاً منها، فمن خلال تكرار عملية التعاطف تتكون العلاقة بالموضوع (الأخر)، بحيث يجاهد الأب

ذاته كي لا يرى في ابنه امتداداً طبق الأصل منه وأنه ذكراه الحية بعد مماته، وبنفس الوقت يستطيع الابن البناء حول موروثاته المعنوية والحياتية من ذاك الأب، وأن يكمل هويته بغض النظر عن انفصالها التام عن هوية أبيه ولكن بما يليق بهويته هو التي يكتشفها عبر مراحل وجودية عدة من القلق والاكتئاب والاختبار الواقعي وخوض التجارب ودفع ثمن أخطائه، كي يرتقي وجودياً ويشعر بالأمن الأنطولوجي الذي يمكنه من تعريف ذاته بمعزل عن الأخر الكبير المتمثل في الأب، وبمعزل عن أي فرد أخر محيط به، ولا ينطوي ذلك التعريف للذات على اختلاف مع الأخر، بل حوار جدلي يوظف المتشابه بينهما، والذي اختبره الابن ورأى ملائمته له، ويعتز بالمخالف، ويتفهم جذوره ويصادقه على اختلافه.

يا زهرة في جدار متصدع

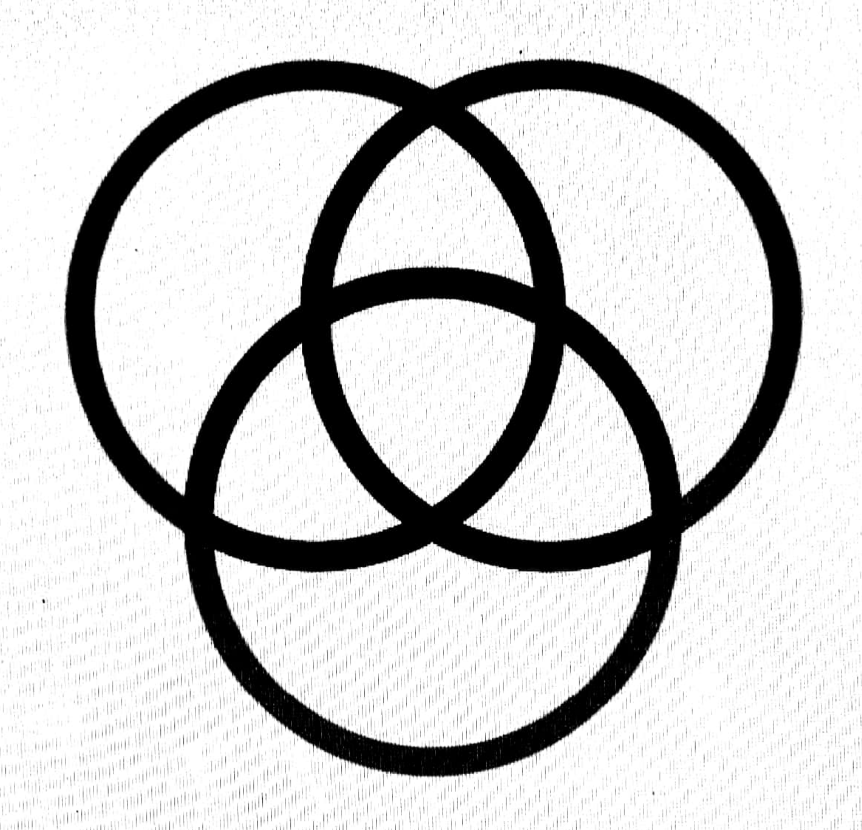
إنني أنتزعك من بين الشقوق

وأقبض عليك، هنا في يدي بجذورك وكيانك كله

أيتها الزهرة الصغيرة - آه لو أستطيع أن أفهم

ماذا تكونين - جذورك وكيانك جملة وتفصيلا(7)

وثاني ما نعرض بنقاشنا ذلك لتوصيفات القراءات، ستكون من الانفصال بين الواقعي والرمزي والخيالي عند الآباء، وبين الواقعي والرمزي والخيالي عند الأبناء.



ليس بإمكان أحد بالنهاية أن يتقبل من الأشياء أكثر مما يعرف مسبقاً. فما لم يكتسبه المرء من معرفة عن تجربة مر بها، لا يمكن له أن يسمعه. لنتصور كتاباً ما يروي أحداثاً تقع خارج الإمكانات التي تمنحها التجارب المتداولة، بل وحتى النادرة منها، بحيث يصبح لغة أولى لسلسلة جديدة من التجارب، في مثل هذه الحالة سيكون من المتعذر سماع أي شيء، وبفعل التوهم السمعي يصبح ما هو غير مسموع غير موجود أيضاً. (Friedrish nietzsche,1888 :67).

لنفترض معاً أن كلاً من جيل الآباء وجيل الأبناء يمتلك نظاماً متداخلاً من الرمزي والواقعي والخيالي، ونحسبهم بنية متداخلة للتفكير الإنساني، مع وجود اختلاف بينهم. يعبر كل جيل عن ناحية معينة من التفكير، ولكن يتداخل الثلاثة مع بعضها البعض، ويشتركون في بعض النواحي.

فإذا بدأنا بجيل الآباء، فسنجد أن الواقع يمثل جزءاً كبيراً من حياتهم اليومية، حيث يتعاملون مع العديد من المعاملات اليومية والالتصاق بالشارع، ويواجهون العديد من الضغوطات المتعلقة بالعمل والحياة. وينحصر الرمزي لديهم في المثل والأخلاق والمبادئ التي تعلموها في صغرهم. ومن ناحية أخرى، يكاد الجانب الخيالي يضيع في ضوضاء الحياة ومتطلباتها، ولا يتجاوز كونه مجرد تفكير في الأحلام والأمنيات التي لم يستطيعوا تحقيقها وكانوا يحلمون بها. وبالتالي، يكون

جيل الآباء مقيداً بالواقع، وآخر ما يطمحون إليه هو يقود الواقعي خيالهم وأحلامهم وطموحاتهم لبر من الأمان، ولذلك يرضون بحلول ومقاربات نصفية لمشاكلهم.

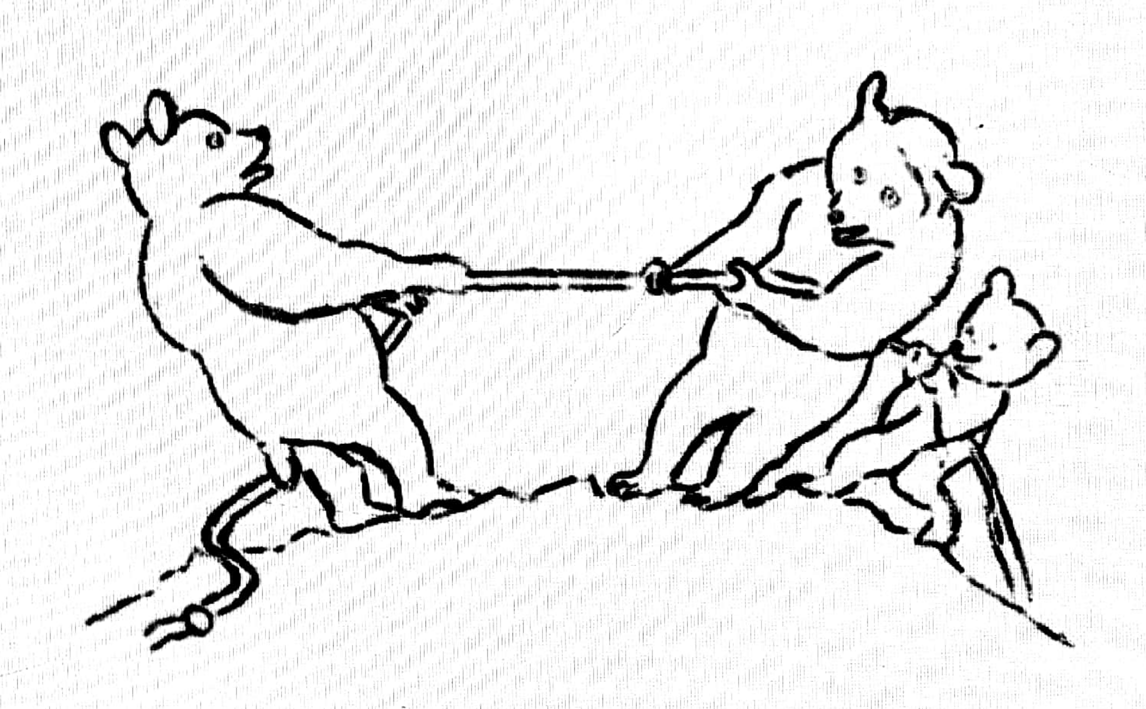
أما عند جيل الأبناء فيفيق الابن من طفولته على مرحلة المراهقة يحدق العينين برمزيات شتى من التواصل الافتراضي فمن بعد كبار الفنانين يكون (الانفلونسرز)(8) و(البلوجرز)(9) مروراً بأصحاب (الترندات)(10)، فينشأ عالم رمزي لدى الابن مختلفاً تماماً عن مدخلات العالم الرمزي الذي تلقاه أباه في نفس المرحلة العمرية بفعل التواصل الافتراضي، وبمجرد أن ينهي الابن تلك المرحلة بتعبئته رمزياً ويدخل بمرحلة الشباب فيبني عالماً خيالياً حسب ما اكتسبه من رمزيات في مرحلة المراهقة، فتصنف معظم أحلامه وطموحاته وفقاً لذلك، حيث يمثل كل شيء مجرد إفراز حداثي لا يشبه أحلام وطموحات جيل الآباء، فتلك الأمنيات والطموحات لدى الآباء كونوها بمرحلة زمنية منفصلة تاريخياً، حتى وإن تشابه العمر الزمني بين الاثنين وقت التكوين بمرحلة الشباب.

ومن زاوية أخرى نجد أن الواقعي يداهم جيل الآباء ويسطو على تفكيره مما يمكن أن يكون عائقا في التواصل مع جيل الأبناء الذي يسطو الخيالي والرمزي على تفكيره ويريد تسخير الواقع لخدمة خياله لا العكس. فالجيل الأصغر دائما ينبع رفضه للواقع من تشبثه بالخيالي متمثلا في أحلامه وطموحاته.

ولذا فمن الملاحظ والواضح للعيان أنه بانتقال جيل الأبناء للمرحلة العمرية التالية، ويصبحون هم أنفسهم جيل الآباء الجديد، تخفت المشكلات بين الجيلين ويضمحل الخلاف بعدما توالت الاخفاقات على الابن مع سريان الحياة في مجراها الطبيعي. وتصبح أحلامه وطموحاته أكثر واقعية وبساطة، وبإمكانه تحقيقها مع تقدمه في العمر، ففي تلك المرحلة تقترب بنية الواقعي عند الأب ببنية الواقعي عند الابن، ويمارس الابن تمرينات عقلية لقبول الوضع الواقعي، ويقبل إعادة تشكيل أحلامه وطموحاته حسب سياق واقعي. وبتلك المرحلة أيضا يطمح الفرد أن يحقق أحلاماً جديدةً تنفصل بشكل ما عن الرمزيات التي كونها بعالمه الرمزي في المرحلة السابقة، فيلجأ أحياناً للاستعارة من رمزيات جيل الآباء للتمشي مع

مرحلته الجديدة، فنجده في تلك المرحلة تتبدل طريقة ملابسه من (الكاجوال) إلى الكلاسيك أو الرسمي (الفورمال)، وكذلك أساليب كلامه، ويبدأ في إرسال النصيحة لمن يصغرونه، وإصدار التعميمات ببعض الموضوعات.

طبقا لتلك القراءة، يتضمن تضييق الفجوة على تفهم الآباء لعالم الرمزي المطبق على الأبناء، وتفهمهم لعالم الخيالي، ومساعدتهم على ربطه بالواقعي ومقاربته كما هو، ومن الناحية الأخرى إدراك الأبناء لجيل الآباء، وظروفه المنتجة لبناهم الفكرية، والخروج من دائرة الشخصنة إلى رؤية جيل الآباء كموضوع منفصل، وتوصيفه من الأعلى دون تعميم ومساءلة.



وثالث ما نعرض بنقاشنا ذلك لتوصيفات القراءات هو الحوار السلوكي الديالكتيكي(11) بين الجيلين:

الفرق بين حوار مثمر وجدالات غير مثمرة يكمن في تفهم كل طرف للآخر رغم اختلافه معه، وبناء الحوار على أسس من الاحترام والتعاطف ونبذ العناد، والاتفاق على تغيير الرأي عند إثبات الخلاف. ومع ذلك، هذا النوع من الحوار يصعب تحقيقه

في بلادنا العربية بسبب جذور ثقافية وعرقية لا يمكن الإشارة إليها الآن. ومع ذلك، يشيع بين الجيلين الموضوعين للدراسة توافقات يمكن البناء عليها، وتسهم في تحسين جودة الحوار.

تردد بين الحين والآخر شكوى بأن الحوار قد يغلق في منتصفه من قبل إحدى الأطراف، والفكرة القائمة بين أيدينا لا تسعى لتحقيق التوازن الهندسي بين الجيلين، فالنفس الإنسانية أبعد ما تكون عن أي رسم هندسي، والتفكير الهندسي يعتبر مخرباً للحوار بين الجيلين. ومع ذلك، فإن فكرة الحوار السلوكي الديالكتيكي تسعى لتحقيق التوازن بين القبول والتغيير، ولكن يجب مراعاة أن هذا التوازن يتأثر بالعوامل الخارجية كالسياق والجيل والأفراد، وبالتالي، فإن استراتيجيات القبول والتغيير ومدى فاعليتها تتوقف على العديد من العوامل المختلفة. لذلك، فإن من يرغب في تطبيق آليات الحوار السلوكي الديالكتيكي يجب أن يأخذ بعين الاعتبار هذه العوامل المتغيرة.

أول العمليات الهامة في التواصل بين الجيلين هي «تحليل السلسلة السلوكية»، والتي تهدف إلى فهم تسلسل الأحداث التي أدت إلى حالة معينة من السلوكيات. فالسلوك الظاهر من أحد الأطراف تجاه الأخر هو نتيجة لتفاعلات عدة من السلوكيات السابقة، والمشاعر المكونة لها والتحديات التي تم التعامل معها. ولذلك، فهم تلك التفاعلات يتطلب رؤية بؤرة الموقف التي تؤدي إلى السلوك الظاهر.

ويأتي هنا دور الحوار في تفكيك الموقف القديم، واستعادة القدرة على التعامل مع مواقف جديدة بشكل إيجابي. وبواسطة الحوار، يمكن تغيير السلوك السابق، والاستفادة من الخبرة السلبية لصياغة خبرة إيجابية جديدة بمساعدة الطرف الآخر.

وثاني العمليات الهامة في التواصل بين الجيلين هي تحفيز الدافع للحوار حول موضوع واحد محدد. فعادةً ما يكون حديثنا اليومي متنوعاً ولا يتمحور حول موضوع محدد، فنتحدث عن الطقس ثم الاقتصاد ثم «الترند» وغيرها. وبالتالي، ينتهي الحوار عادةً بموضوع بعيد تماماً عن موضوع البداية. ولذلك، يركز هذا العمل على تحديد موضوع الحوار قبل البدء فيه والتركيز على جزء واحد كبير ومهم،

كمثال على ذلك «التراحم»، ويعرض كل شخص مفهومه حول التراحم والأحداث والذكريات التي تمثلها والتي شاهدها أو عايشها بطريقة سينمائية أو غيرها. ومن ثم، يتعود الأفراد على الخلافات التي لا تضر، حيث إن مفهوم التراحم لدى كل شخص يمكن أن يختلف عن الآخر، ولكنه يندرج داخل الدائرة الكبيرة للمفهوم ولا يزعج أحداً من الأطراف. فمثلاً، إذا رأى الابن المفهوم بالحيوانات والتمثيلات المتعلقة بها، ورأى الأب المفهوم في الصدقة أو العطف، فهذا يعكس فهماً مختلفاً لمفهوم التراحم، ولكنه يساعد على فهم ماهية العقل بين الأطراف.

وثالث العمليات الهامة في التواصل بين الجيلين هي تعزيز قدرات ومؤهلات الطرف الآخر. فإذا تعامل كل جيل بذكاء شديد في حياتهم، يستطيعون إنتاج المعنى واستشعاره من دواخلهم، وتحمل الأحداث والتحديات الصعبة في حياة الأبناء. وأظهرت دراسات عدة أن المناخ الأسري السوي يساعد الأبناء على التعامل مع الرفض الاجتماعي الذي يمكن أن يواجهوه خارج المنزل مثل جامعاتهم أو أماكن العمل. وبالتالي، يمكن أن يؤثر الرباط الأسري على الأبناء خارج المنزل أكثر من داخله، إذا كان المناخ الأسري إيجابياً فسينعكس ذلك على الأبناء بشكل إيجابي، وإذا كان سلبياً فسينعكس على الأبناء بشكل سلبي.

والرابع من العمليات الهامة في التواصل بين الجيلين هو هيكلة البيئة. فالظروف الموضوعية تلعب دوراً حاسماً في تحديد السياق، وفعالية الآليات المختلفة في التواصل. ومن خلال تهيئة المناخ الافتراضي والواقعي، يمكن تغيير طريقة التواصل والتعبير. وعلى سبيل المثال، إذا ألغي استخدام الهواتف المحمولة كوسيلة للتواصل والتفاعل المباشر وجهاً لوجه أصبح الأسلوب الأكثر فاعلية، ويمكن التعبير بشكل أفضل عن المشاعر السلبية والإيجابية والمصارحة بها. وعندما نتفق على تقدير المصارحة، فإن ذلك يدل على أننا نقترب من بعضنا البعض، ونتجاوز بعض المشاكل بين الأجيال. وبالتالي، يمكن تضييق الفجوة بين الأجيال، وعبور مرحلتها العمرية، وتجاوز المشاكل التي تواجه التواصل بينهما.

والسؤال لك عزيزي القارئ الآن بعد عرض الثلاث عمليات لتوصيفات القراءات

النظرية حول الفجوة الثقافية بين الآباء والأبناء، هل ترى أيا منها ذات فاعلية حقيقية، أم لك رأياً مخالفاً؟

خاتمة :

إن تبدّي علاقة الأب بابنه هي نقطة البدء والغاية في نفس الوقت، ذلك لأن محور هذه العلاقة يدور حول اكتشاف البعد الإنساني الذي يريد الابن أن يفهمه، في حين يسعى الأب للبحث عنه بأسرع الطرق وبأقل الخسائر وبصورة أكثر وضوحاً. وكلنا، في نهاية المطاف، نتحول من الأبناء إلى الآباء.

بفعل الفجوة الثقافية التي تنشأ نتيجة لمتغيرات كثيرة متداخلة، تزداد مشكلة التأزم الثقافي يوماً بعد يوم. وعندما نتخيل الابن الصغير الذي يحاول التكيف مع نفسه ومع مجتمعه الصغير - عائلته وأصدقائه - ويسعى للتغلب على مشاعر الهلع والخوف، ليكون أكثر تكيفا وتوافقا مع نفسه ومجتمعه الصغير، أو لنقل عائلته وأقرانه الذين ربما لا يتخطى عددهم أصابع اليدين، فإن الأب وبلا شك ينبغي أن يكون أكثر تفهماً وتقبلاً لابنه على حاله تلك. إذ أن التقبل هو أول طريق التغيير إذا أردنا حقاً الحديث عن التغيير، لأنه ما أسهل أن يغير الولد من نفسه إذا أحس أن هذا الذي سيتغير سهلُ المراس، غير منبوذ من المحيطين به، لأنه سيكون حينئذ ذا نقد ذاتي، غير ملتزم بآراء من هم حوله، مقارنة بحاله لو كان الجميع ينتقدونه.

قائمة المراجع

أولا : مراجع الكتب العربية والمترجمة :-

1-مصطفى حجازي (2014)، التخلف الاجتماعي: مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

2-(آلان دو بوتون) (2018)، قلق السعي إلى المكانة: الشعور بالرضا أو المهانة، ترجمة: محمد عبد النبي، بيروت، دار التنوير للنشر والتوزيع

3-(فؤاد زكريا -2017)، آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة، القاهرة، هنداوي للنشر والتوزيع.

4-(صلاح اسماعيل-2020)، نظرية المعرفة: مقدمة معاصرة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.

5-(بيار بورديو-2007)، إعادة الإنتاج: في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم، ترجمة: (ماهر تريمش)، بيروت، المنظمة العربية للترجمة.

6-(سيد محمد غنيم : هدى برادة -1975)، الاختبارات الاسقاطية، القاهرة، دار النهضة العربية.

7- (راينر فونك-2016)، الأنا والنحن: النفسي لإنسان ما بعد الحداثة، ترجمة: (حميد لشهب)، بيروت، جداول للنشر والتوزيع.

8- (فريدريش نيتشه-2006)، هذا هو الإنسان، ترجمة: (علي مصباح)، بيروت، منشورات الجمل.

9-(جميل صليبا-1955)، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

10-(اريك فروم-1989)، الانسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة: (سعد زهران)، الكويت، عالم المعرفة.

11- (محى الدين محسب-1989)، اللغة والفكر والعالم، بيروت، مكتبة: ناشرون لبنان.

12- (محمد يحيى الرخاوي-2013)، خطاب الحياة اليومية، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة

ثانيا : مراجع الكتب الأجنبية :-

1-Gary R. Lee (2004), the family system and the interaction, london, routledge press.

2-Mick Cooper (2010), Existential therapies, London, sage press.

3-Amy MacAfee (2022), What is a Generation Gap? A Cultural Gap Between The Generations Of Youth, Edu Birdie, Retrieved 28-7.

4-M. Mead (1971), Le Fossé Des Générations, Paris, Denoël Gonthier.

ثالثا : البحوث والدراسات :-

1-Emmy Van Deurzen (2004), Brief introduction to existential therapy, MPHIL, NSPC association, p61-66, NW6, London.

2-John Suler (2015), From self-portraits to selfies, psychoanal. studies 12 (2): 175-180.

3- (أحمد فائق: صالح حزين -2017)، دراسة نقدية لكل من سيكولوجية الذات والعلاقة بالموضوع والتحليل النفسي الكلاسيكي، مجلة علم النفس عدد 112، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب،31-62.

4-(عبد الهادي السيد أبوزيد-2016)، الخصائص السيكو مترية لمقياس أساليب

التفكير، مجلة علم النفس عدد 108، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 185-157.

5-(أحمد عماد القاضي-2021)، المناخ الأسري وعلاقته بالمشكلات الاجتماعية لدى الشباب الجامعي، القاهرة، جامعة حلوان، 94-85.

6- (بسنت محمود- 2018)، الأنثربولوجيا الرمزية، جامعة الإسكندرية، 34 : 78.

---

(1)- **«صندوق باندورا»: هو مصطلح يشير إلى صندوق خشبي أسطوري في الأساطير الإغريقية القديمة. تروي الأسطورة أن الآلهة أهدوا صندوقاً مغلقاً لمرأة تُدعى (باندورا) مع تحذير بعدم فتحه. ولكنها شعرت بالفضول وفتحت الصندوق، مما أدى إلى إطلاق سلسلة من الكوارث والمصائب على البشرية.**

(2)- جيل: Z هو جيل يتكون من الأفراد الذين ولدوا بين عام ١٩٩٧ وعام ٢٠١٢، وهو الجيل الأحدث والأصغر سناً بين الأجيال الحالية. يعرف هذا الجيل أيضاً باسم «جيل الرقمية»، نظراً لأنه نشأ وترعرع في عالم تسوده التكنولوجيا والإنترنت. يتميز جيل Z بأنه يستخدم تقنية المعلومات والاتصالات بشكل كبير، ويعتمد على تطبيقات التواصل الاجتماعي ومنصات الفيديو والألعاب الإلكترونية. كما يتميزون بالقدرة على التعلم الذاتي والابتكار والتكيف مع الوضع الجديد بسرعة.

(3)-جيل Y : هو الجيل الذي ولد ما بين عامي ١٩٨١ و١٩٩٦، ويعد جيل التكنولوجيا والإنترنت، ويتميز بالاهتمام بالعمل والحياة المهنية والمرونة في العمل، وكذلك بالتعليم العالي، والاهتمام بالثقافة والتنوع والقضايا الاجتماعية والبيئية.

(4)- (Mott Poll) استطلاع رأي سنوي يقوم به معهد (Mott) للأطفال في جامعة (ميشيغان (لقياس آراء الجمهور حول قضايا صحية واجتماعية تتعلق بالأطفال والعائلات في الولايات المتحدة.

(5)- (الانفصال الهوياتي) عبارة عن حالة عدم الانتماء إلى هوية محددة أو فئة اجتماعية معينة، وهو مصطلح يُستخدم في النظرية النفسية الديناميكية، والتي طورها العالم النفسي النمساوي (هاينز هارو براندنبورغر (Heinz Kohut - في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين. وقد وصف هذا المصطلح في الأصل مشكلات الهوية الناشئة عن الأمراض النفسية، واستُخدِم لاحقاً في المجالات الاجتماعية والثقافية والتربوية والسياسية والدينية، وغيرها.

(6)- الأمن الوجودي (الأنطولوجي): هو مصطلح فلسفي يعود إلى الفيلسوف الألماني (مارتن هايدغر - (Martin Heidegger الذي اهتم بدراسة مفهوم الوجود والإنسان في العالم. وقد طرح (هايدغر) هذا المصطلح في كتابه «كون وزمان - (Being and Time الذي نشر في العام ١٩٢٧، حيث استخدمه لوصف شعور الإنسان بالأمان والثقة في وجوده في العالم ودوره فيه. ومنذ ذلك الحين، أصبح المصطلح جزءاً من الفلسفة الحديثة ويستخدم في العديد من المجالات النفسية والاجتماعية والصحية.

(7)- قصيدة للشاعر الياباني (ماتسوو بَاشو – (Basho بعنوان «ما هذا يا زهرة في جدار متصدع»، وتعبر عن فلسفة الوجود اليابانية، التي تؤكد أن كل شيء في الكون يمتلك وجوداً حقيقياً ومعنوياً، وتتحدث القصيدة عن زهرة تنمو في جدار متصدع، وتعتبر رمزاً لهذا الوجود وللحكمة التي يتعين على الإنسان تعلمها، ويُعَد (بَاشو)واحداً من أشهر شعراء اليابان ومؤسس فن (الهايكو) الياباني.

(8)- (الإنفلونسرز – Influencers): هم الأشخاص الذين يتمتعون بتأثير كبير على الآخرين، ويمكنهم تحويل آراء الناس وأفعالهم في اتجاه معين.

(9)- (البلوجرز - Bloggers): هم أصحاب المدونات الذين ينشرون محتوى على الإنترنت ويتواصلون مع جمهورهم.

(10)- (الترندات - Trends): هي الموضوعات الشائعة والحالية التي يتحدث عنها الناس، ويتداولونها عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وغيرها من القنوات الإعلامية.

(11)-الـ (ديالكتيكية): هي فلسفة التغيير المستمر والتحول عن طريق التناقضات والصراعات.